أسنى المطالب

في نجاة أبي طالب

تأليف

أحمد بن الزيني دحلان الشافعي المكي

المتوفى عام ١٣٠٤ هـ

إعداد وتقديم

صالح الورداني

الهدف

للإعلام والنشر

اسم الكتـــاب: أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب

المـــؤلـــف: احمد بن زينى دحلان

الـنـاشـــــر: الهدف للإعلام

رقـــم الإيـــداع ٩٩/١١٥٦٢

الترقيم الدولى: **977-5751-17-9**

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديــــــــــــــــم

إن قضية تكفير الآباء والأجداد والأمهات ممن لهم صلة بالرسول (ص) إنما هى قضية سياسية وليست دينية.

فليست هناك نصوص قطعية تجزم بذلك وإنما هى مجموعة من الروايات محل أخذ ورد وقبول ورفض بين الفقهاء.

ولقد ترسخت هذه القضية فى العصر الأموى حين كان الصراع على أشده بين الأمويين وبنى هاشم ثم تبناها فقهاء الشام من بعد.

وجاء العباسيون فأهملوا هذه القضية أو تركوا فكرة التكفير تترسخ فى أذهان المسلمين من أجل الحط من بنى هاشم خصومهم.

من هنا فقد حالت السياسة دون حسم هذه القضية حيث أن الفقه الذى ساد فى واقع المسلمين منذ العصر الأموى وحتى الآن هو الفقه المعادى لبنى هاشم وآل البيت، ذلك الفقه الذى تجاوز حدود الآباء والأجداد ليصل إلى شخص النبى (ص) ذاته فيحيطه بكم من الروايات التى تحط من قدره وتشوه صورته بل وتشكك فى دوره ورسالته[١].

ذلك الفقه الذى ارتبط بالحكام ولم يرتبط بالقرآن.

---

(١) انظر نماذج من هذه الروايات التى تفضح علاقة الرسول بالنساء وتضعه فى دائرة المشرع وتصفه بالظلم تارة والجهل والنسيان تارة وغير ذلك من الصفات التى لا تليق بمقامه (ص) فى كتابنا، دفاع عن الرسول.

ذلك الفقه الذى نتجت منه قضايا كثيرة لا تقل خطورة عن القضية التى نحن بصددها هنا.

مثل قضية الإمامة(٢).
وقضية الروايات(٣).
وقضية العقائد التى ورثها المسلمون(٤).

وقد يسأل سائل: ماهو الهدف السياسى من وراء تكفير آباء النبى وأجداده؟
وهل آباء النبى وأجداده من الأهمية بحيث يصبحون قضية تنعكس على الإسلام؟

والجواب ما يلى:
إن الصراع بين البيت الأموى والبيت الهاشمى له جذوره التاريخية العميقة التى تمتد إلى ما قبل الإسلام بقرون طويلة. وهذا الصراع قد ولد نوعاً من العداء والخصومة التى لا يمكن ان يمحها الإسلام(٥).

لأن الإسلام ببساطة شديدة لا يحول الناس إلى ملائكة.

ولن يجعل أبو سفيان وهند وولدهما معاوية ومن ورائهم بنى أمية يلقون وراء ظهورهم ذلك الإرث العدائى للإسلام وبنى هاشم بمجرد ان دخل الرسول (ص) مكة فاتحاً.

----

(٢) انظر لنا تثبيت الإمامة وعقائد السنة وعقائد الشيعة.
(٣) انظر لنا النص والسياسة.
(٤) انظر لنا اهل السنة شعب الله المختار.
(٥) انظر النزاع والتخاصم فيما بين بنى امية وبنى هاشم للمقريزى وكتب التاريخ.

وهذا هو السر من وراء وضع الرسول لبنى أمية فى دائرة المؤلفة قلوبهم ولم يخرجهم من هذه الدائرة حتى توفى(٦).

وهذا هو السر وراء حمل معاوية ومن وراءه بنى أمية راية الحرب على علي بن أبى طالب بمجرد ان تمكن وملك القوة.

ولأن معاوية يفتقد إلى الشرعية والوزن التاريخى فى مواجهة علي فقد لجأ إلى الحيلة والمكر واختراع الروايات التى تعلى من قدره وتحط من قدر خصمه.

اما الروايات التى تعلى من قدره فقد سقطت بعد سقوط الأمويين وأعلن فقهاء العصور التالية رفضها وحكموا عليها بالوضع(٧).

اما الروايات التى تحط من قدر الإمام علي وبنى هاشم فقد تنبه البعض لبعضها ومر اكثرها وتخلل كتب الأحاديث(٨).

ومن هذه الروايات مايتعلق بإيمان أبوى النبى وأجداده وأبى طالب.

---

(٦) رفع عمر ابو سفيان ومعاوية من المؤلفة قلوبهم وأوقف العمل بهذا الحكم. انظر علاقة عمر بمعاوية فى الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة معاوية وكتب التراجم الأخرى وكتب التاريخ. وانظر لنا السيف والسياسة.

(٧) انظر باب ذكر معاوية فى فتح البارى شرح البخارى جـ ٧. وفيه قال إسحاق بن راهويه: لم تصح فى معاوية منقبه. وانظر تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بثلب معاوية بن ابى سفيان لابن حجر الهيتمى.

(٨) انظر مثلا قصة زواج علي بإبنه ابى جهل فى كتاب النكاح فى البخارى. وانظر كتابنا الخدعة. واحاديث نبوية اخترعتها السياسة.

ولو اعتبرنا أن التشكيك فى إيمان آباء النبى وأجداده سوف ينعكس على الإمام علي. فإنه سوف ينعكس بالتالى على الرسول (ص) ومنه سوف ينعكس على الإسلام. فإن العلاقة الوطيدة التى كانت بين الرسول (ص) وعلى ليست علاقة قبيلة وإنما هى علاقة شرعية تشهد بها عشرات النصوص[٩].

وإذا كان القوم قد شهدوا بصحة الخبر الذى يقول أن الرسول اصطفاه الله من بنى هاشم واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفى قريش من كنانه واصطفى كنانه من ولد إسماعيل فهى سلالة منتقاة بعناية الله سبحانه[١٠].

وشهد آخرون بأن قوله تعالى ﴿وتقلبك فى الساجدين﴾ دليل على طهارة سلالة النبى (ص)[١١].

وشهد آخرون بأن النصوص التى تتعلق بالاستغفار للمشركين هى نصوص مدنية لا صلة لها بالواقع المكى وأن الروايات التى رويت حولها غير ثابتة[١٢].

واكد آخرون أن الروايات التى تفيد كفر آباء النبى وأجداده وابو طالب إنما هى فى نفس الوقت تفيد إيمانهم[١٣].

فمن أين إذن اتى الحكم بالكفر والضلال؟

---

(٩) انظر كتب السنن ابواب فضائل الإمام على وانظر خصائص الإمام على للنسائى.

(١٠) سياتى ذكر هذا الحديث ضمن فصول الكتاب.

(١١) انظر تفسير الرازى سورة الشعراء.

(١٢) سياتى بيان ذلك وانظر الفوائد الكامنة فى إيمان السيدة آمنة والتعظيم والمنة فى أن أبوى المصطفى (ص) فى الجنة للسيوطى.

(١٣) سياتى ذكر ذلك.

لقد كان بنو هاشم طوال تاريخهم يتولون أمور البيت الحرام والاعتناء بالحجاج والقيام بالمهام المقدسة وهذا يعنى أنهم لم يكونوا كبقية الناس.

يعنى أنهم الطائفة الموحدة على دين إبراهيم (ع).
يعنى انهم الطائفة المميزة خلقا ودينا.
وإن دراسة سيرتهم تؤكد هذه الحقيقة(١٤).

من هنا يمكن القول أن الطعن فى آباء النبى (ص) وأجداده يعنى الطعن فى النبى ويعنى التشكيك فى اختياره من قبل الله تعالى من باب آخر.

وفى يقينى أن هذا هو الهدف من وراء ذلك كله. فقد دفع الحقد ببنى أمية إلى التشكيك فى أصل رسول الإسلام ليكون بابًا للتشكيك فى الإسلام.

وهنا تبرز أهمية القضية وخطورتها.

ونعود إلى أبى طالب موضوع الكتاب الذى بين أيدينا طارحين السؤال التالى:
ماهى حقيقة علاقة ابو طالب بالرسول (ص) ؟
وهل كانت علاقة قبلية أم دينية ؟

والإجابة تفرض علينا استعراض العلاقة من بدايتها.

بدأت العلاقة بين الرسول وأبى طالب بعد وفاة عبدالمطلب جد الرسول (ص)

---

(١٤) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ وستاتى الإشارة لذلك.

الذى كان عمره يومئذ ثمانية سنوات بوصية من عبدالمطلب الذى أوصى ولده أبو طالب بالرسول فجعله فى كفالته[١٥].

والسؤال هنا لماذا جعل عبدالمطلب النبى فى كفالة أبى طالب ولم يجعله فى كفالة شقيقه عبدالعزى بن عبدالمطلب الذى عرف فيما بعد بأبى لهب؟

والجواب هو أن الأمور لم تكن بالاختيار أو بالمفاضلة وإنما هى امور مرتبة من قبل الله سبحانه. ولو كان الرسول فى كفالة عبدالعزى لكان الأمر غير الأمر. اى أن الرسول لو لم يكن مختاراً من البداية للرسالة لكان من الممكن أن يقع من نصيب عبدالعزى ولكن لكونه رسولا مختاراً فيجب أن يكون فى كفالة من يدرك هذه الحقيقة وهو مهيأ لقبولها والسير فى ظلالها. ولذا كان فى حضانة عبدالمطلب ثم فى كفالة أبى أبى طالب وهذه هى الإشارة الأولى لإيمان أبى طالب.

وتروى الكتب أن الرسول (ص) رحل مع عمه أبى طالب إلى الشام فى تجارة فلفت الرسول انتباه بحيرا الراهب وتنبأ له بالنبوة. وكذلك لفت الرسول انتباه بعض الكهان وأهل الفراسة مما دفع بأبى طالب إلى أن يعزل النبى عن هؤلاء ويغيبه عنهم[١٦].

وهذه هى الإشارة الثانية لإيمان أبى طالب.

فقد كان من الممكن لأبى طالب أن يستثمر هذه الفرصة التى لفت فيها النبى أنظار القوم فى تقوية مركزه وتحصيل الشهرة بين العرب لكنه فعل العكس من ذلك ----

---

(١٥) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(١٦) انظر المراجع السابقة.

وغيب النبى عن الأنظار. وذلك الموقف ليس له سوى تفسير واحد وهو الحفاظ على النبى المتربص به من الأعداء والخصوم، ولو لم يكن ابو طالب ينظر إلى ابن اخيه على أنه نبى لشهره بين الناس بدافع القبلية.

وهذه هى الإشارة الثالثة لإيمان أبى طالب.

ويروى أن ابا طالب خطب فى الناس حين تزوج رسول الله بخديجة فقال بعد ان مدح النبى وبنى هاشم: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل. ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلارجح. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم(١٧).

فمن أين لأبى طالب هذا العلم بمستقبل ابن اخيه ؟

وإذا كان قد سمع هذا الكلام من سواه فهذا يعنى انه قد آمن به.

وهذه إشارة رابعة لإيمان أبى طالب.

ويروى أن أبا طالب عثر على علي وهو يصلى مع الرسول (ص) فى شعاب مكة مستخفين عن الناس فلم يعترض عليه. ولم ينهاه عن فعله بل باركهما وأيدهما ووعد الرسول بالنصرة(١٨).

---

(١٧) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(١٨) المراجع السابقة.

وهذه إشارة خامسة إلى إيمان أبى طالب.

وحين صدع رسول الله (ص) بالدعوة ضغط كبراء قريش وسادتها على أبى طالب وهددوه كى يمنع الرسول من الدعوة للإسلام ويسلمه لهم فأبى وقبل معاداة قريش على معاداة رسول الله (ص) وقال: اذهب يا ابن اخى فقل ما احببت. فو الله لا اسلمك أبدًا[١٩].

فهل هذا الموقف يدل على الإيمان أم يدل على القبلية ؟
بالطبع يدل على الإيمان.

وأين القبلية وقد نبذ قومه وعاداهم من اجل رسول الله ؟

وحين تآمرت قريش على المسلمين وعذبتهم وحرضت كل قبيلة على البطش بمن آمن منها جمع أبو طالب بنى هاشم ودعاهم إلى نصرة الرسول وحمايته فاجتمعوا إليه وقاموا معه[٢٠].

ولما قرر الرسول (ص) دفع المسلمين إلى الهجرة للحبشة هربًا من البطش والأذى أرسلت قريش وراءهم من يحرص النجاشى على المسلمين كى يطردهم من بلاده. وما كان من أبى طالب إلا أن أرسل إلى النجاشى يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم[٢١].

---

(١٩) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.
(٢٠) المراجع السابقة.
(٢١) المراجع السابقة.

وهذا موقف ينم عن إيمانه. فقد تخطى بموقفه هذا حدود رسول الله الذى يعيش فى حمايته ليصل إلى حدود المسلمين الذين هم بعيدون عنه.

وإذا كانت هناك مصلحة قبلية كما يزعمون وراء نصرة ابو طالب للنبى (ص). فما هى المصلحة القبلية من وراء نصرته للمسلمين خارج قريش وحدود العرب ؟

ولما قررت قريش مقاطعة بنى هاشم وحصروهم فى الشعب وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى جوف الكعبة لم يتراجع ابو طالب عن نصرة النبى ومآزرته وشاركه كل بنى هاشم عدا عبدالعزى بن عبدالمطلب (أبو لهب)(٢٢).

وتحمل ابو طالب ومعه النساء والأطفال الجوع والعطش والحرمان من اجل الإسلام. وكان الأجدر بالقبيلة أن تدفع بأبى طالب - وقد استمر الحصار سنوات - إلى التخلى عن الرسول (ص) فى سبيل رفع الحصار. ولكنه الإيمان.

الإيمان هو المبرر الوحيد الذى يجعل أبو طالب يضحى مثل هذه التضحية.

وإذا كان القوم يعترفون بحب أبى طالب للرسول (ص) فسوف نعرض لبعض الأحاديث الواردة فى الحب على لسان الرسول (ص).

قال (ص): من أحب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان(٢٣).

---

(٢٢) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتاب التاريخ.

(٢٣) رواه الترمذى.

والسؤال هنا: الا ينطبق هذا الحديث على سلوك أبى طالب ومواقفه من الرسول والدعوة ؟

وقال (ص): لا يؤمن احدكم حتى اكون احب إليه من ولده ووالده والناس اجمعين[٢٤].

ولقد قدم لنا أبو طالب البراهين الساطعة والدلائل القاطعة على هذا الحب فاستحق الإيمان.

وقال (ص): المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٢٥].

وإن أبا طالب لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فقط بل نصر رسول الله ونصرهم. أفلا يستحق بعد هذا أن يكون مسلمًا.

وقال الحسن البصرى: الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل[٢٦].

وليس هناك من تعبير أدق من تعبير البصرى فى وصف حال أبى طالب فهو صدق بعمله ما وقر فى قلبه. وفى هذا القول كفاية.

أما هذا الكتاب الذى بين أيدينا فقد حشد الكثير من الدلائل والبراهين حول إيمان أبو طالب نترك القارئ يتبحر فيها ويستبصر بها محكمًا عقله وفطرته مسترشدًا بحركة النبى (ص) وسيرته داعين المولى عز وجل طالبين منه الهداية والرشاد.

صالح الوردانى

القاهـرة

---

(٢٤) البخارى ومسلم كتاب الإيمان.

(٢٥) مسلم كتاب الإيمان

(٢٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية باب الكلام فى زيادة الإيمان.

مقدمـــة المؤلـــف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد.

فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زينى دحلان قد وقفت على تاليف جليل للعلامة النبيل مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجى المتوفى سنة الف ومائة وثلاثة فى نجاة ابوى النبى (ص) وذيله فى آخره بخاتمة ابى طالب عم النبى (ص) واثبت نجاته(١).

واقام أدلة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنة وأقوال العلماء يحصل لمن تأملها انه ناج بيقين مع بيان معان صحيحة للنصوص التى تقتضى خلاف ذلك حتى صارت جميع النصوص صريحة فى نجاته وسلك فى ذلك مسلكا ماسبقه إليه أحد بحيث ينقاد لأدلته كل من انكر نجاته وجحد.

وكل دليل استدل به القائلون بعدم نجاته قلبه عليهم وجعله دليلاً لنجاته وتتبع كل شبهة تمسك بها القائلون بعدم النجاة وأزال ما اشتبه عليهم بسببها وأقام دليلاً على دعواه.

---

(١) البرزنجى: [نسبة إلى قرية برزنج فى العراق] من أعيان القرن الثانى عشر وينتهى نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب. له الكثير من المصنفات. انظر سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر للمرادى الدمشقى. والزينى دحلان هو: أحمد بن زينى دحلان المكى الشافعى صاحب كتاب خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ت ١٣٠٤هـ.

وكان فى بعض تلك المباحث مواضع دقيقة لا يفهمها إلا الفحول من العلماء ويعسر فهمها على القاصرين من طلبة العلم وبعض تلك المباحث زائدة عن إثبات المطلوب ذكرها تقوية لما اثبته وكشف الحجاب كل محجوب.

فأردت أن الخص فى هذه الوريقات المقاصد التى اثبت بها نجاة أبى طالب ليكون من عرفها فى كل محفل هو الغالب.

واجتهدت فى تسهيل عبارات تلك المباحث الدقيقة حسب الإمكان وحذفت ما كان زائدًا عما هو المقصود بالبيان وزدت كلامًا يتعلق بذلك وجدته فى المواهب اللدنية والسيرة الحلبية له مناسبة لهذه القضية.

فجاء الجميع وافيًا بتحصيل المراد نافعًا إن شاء الله كل من وقف عليه من العباد وسميت هذا المؤلف (اسنى المطالب فى نجاة ابى طالب).

وأسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق والإخلاص والقبول وحسن الختام بجاه سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

الباب الأول: إثبـات الإيمـان

فـأقـول إن العـلامـة البـرزنجى اثبت أولا حـصـول الإيمان لأبى طالب بالحـجج والبراهين ثم أثبت له النجاة وخرج ذلك على ارجح الأقوال عند المحققين.

اما إثبـات الإيمان فـإنه يتـوقف أولا على معـرفـة مـعنى الإيمان ومـعناه شـرعًا التـصديق القلبى بوحـدانية الله تعالى ورسـالة النبـى (ص) والتـصديق بكل مـاجـاء به عن الله تعالى[1].

---

(١) اصل الإيمان فى اللغة التصديق. يقال آمنت به وآمنت له إذ صدقته ومنه قوله تعالى: «وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا» [يوسف: ١٧]. اى بمصدق.

وقال أبو الحسن الأشعرى ت ٣٢٤هـ: أن الإيمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام فى اخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحًا إلا بمعرفته. والكفر عنده هو التكذيب. وإلى هذا القول ذهب ابن الراوندى والحسين بن الفضل البجلى. انظر اصول الدين للبغدادى عبدالقاهر ابن طاهر التميمى ت ٤٢٩هـ.

وقال ابن ابى العز الحنفى ت ٧٩٢هـ. اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرًا: فذهب مالك والشافعى واحمد والأوزاعى وإسحاق بن راهويه وسائر اهل الحديث واهل المدنية واهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى انه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وذهب الكثير من اصحابنا إلى ما ذكره الطحاوى: انه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان. ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس باصلى. وإلى هذا ذهب الماتريدى ت ٣٣٣هـ. ويروى عن ابى حنيفة. انظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق احمد شاكر طبع القاهرة.

واجمعوا على انه لو صدق بقلبه واقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه: انه عاص لله ورسوله. مستحق للوعيد.

وقالوا: ان القول قسمان: قول بالقلب وهو الاعتقاد.

وقول باللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان : عمل القلب وهو نية وإخلاصة.

: وعمل الحوارح.

فإذا ما زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الأخر. فإن تصديق القلب شرط فى اعتبارها وكونها نافعة. وإذا بقى تصديق القلب وزال الباقى فهذا موضع المعركة. =

وأما الإسلام شرعًا فهو الانقباد بالأفعال الظاهرة الشرعية(٢).

الإسلام علانية والإيمان فى القلب فقد يجتمعان وذلك فى المصدق بقلبه المقر بالشهادتين.

وينفرد الإسلام عن الإيمان فى المنافق الذى ينطق بالشهادتين وينقاد لأحكام الإسلام ظاهرًا وهو بقلبه مكذب غير مصدق.

وينفرد الإيمان عن الإسلام فيمن يصدق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين عنادًا ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية وذلك ككثير من علماء اليهود الذين عرفوا أن سيدنا محمدًا (ص) رسول صادق ولم ينطقوا بالشهادتين ولم يتبعوه ولم ينقادوا لما جاء به.

وقد قال الله تعالى فيهم «**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**» [البقرة: ١٤٦].

فهم لم يقروا برسالته عنادًا ويعتقدون فى قلوبهم صدقه فى دعوى الرسالة فهؤلاء مؤمنون به فى الباطن مكذبون به فى الظاهر عنادًا فلا ينفعهم الإيمان الباطنى حيث كان تكذيبهم الظاهرى عنادًا.

= والمعنى اللغوى وهو التصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقا لله. وهو أن يصدق الرسول (ص) فيما جاء به من عند الله. فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى. انظر شرح الطحاوية.

(٢) وهو ما يحكم الفقهاء بفسق تاركه واعتباره من العصاة وهو مفروض الطاعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم. انظر شرح الطحاوية.

وأما إذا كان عدم الانقياد الظاهرى وعدم النطق بالشهادتين لعذر لا لعناد فإن الإيمان الباطنى ينفع صاحبه باطنا عند الله فى الدار الآخرة ولكنه فى الظاهر يعامل معاملة الكفار.

فيقال إنه كافر بحسب أحكام الدنيا.

والعذر الذى يمنع من الانقياد فى الظاهر له أسباب منها، الخوف من ظالم إن أظهر إسلامه وانقياده أن يقتله او يؤذيه اذى لا يحتمل.

اويؤذى أحدًا من أولاده أو اقاربه فهذا يجوز له إخفاء إسلامه.

بل لو أكرهه الظالم على التلفظ بالكفر فإنه يجوز له ان يتلفظ به.

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله «**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» [النحل، ١٠٦].

ومن هذا القبيل امتناع ابى طالب من الانقياد فى الظاهر خوفا على ابن اخيه وهو سيدنا محمد (ص) فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل اذى ليبلغ رسالة ربه.

وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبى رعاية لأبى طالب ولحمايته. وكانت رياسة قريش بعد عبدالمطلب لأبى طالب فكان أمره عليهم نافذا وحمايته عندهم مقبولة لعلمهم بأن أبا طالب على ملتهم ودينهم ولو علموا انه أسلم وتبع النبى (ص) فإنهم لا يقبلون حمايته ونصره بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه ويفعلون معه من الأذى اكثر مما يفعلونه بالنبى (ص).

ولا شك أن هذا عذر قوى لأبى طالب مانع من إظهار الانقياد الظاهر والاتباع للنبى فلهذا كان يظهر لهم أنه على دينهم وملتهم وأنه إنما يدافع عن النبى لأجل القرابة التى بينه وبينهم.

وكانوا يعتقدون انه يحميه وينصره للحمية لا للاتباع فى الدين بل للحمية التى كانت مشهورة بين العرب وقد كان فى الباطن قلبه مملوًّا بتصديقه (ص) لما شاهده من المعجزات كما سيأتى إيضاح ذلك كله.

وكان ياتى فى الظاهر بالفاظ تدل على ذلك وبالفاظ اخرى يوهم بها على الكفار أنه على دينهم وليس متابعًا للنبى (ص) ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنه متبع للنبى لينفذوا حمايته ونصره.

ثم ذكر البرزنجى اختلاف العلماء فى النطق بالشهادتين هل هو شطر اى جزء من مسمى الإيمان أو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية. فيترتب على كونه شطرًا اى جزء إن تارك ذلك مع القدرة يكون كافرًا مخلدًا فى النار.

وعلى كونه شرطا لإجراء الأحكام الدنيوية يكون غير مخلد.

فقال: قال السفاقسى فى شرح التمهيد: أن كون الإيمان هو التصديق فقط هو الرواية الصحيحة عن أبى حنيفة[٣].

وقال العلامة العينى فى شرح البخارى: أن الإقرار باللسان شرط لإجراء الأحكام

---

(٣) كما أشرنا سابقا وانظر شرح الطحاوية وأصول الدين.

حتى أن من صدق الرسول فى جميع ما جاء به فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر بلسان(٤).

وقال حافظ الدين النسفى: إن ذلك هو المروى عن ابى حنيفة وإليه ذهب أبو الحسن الأشعرى فى أصح الروايتين عنه وهو قول أبى منصور الماتريدى(٥).

وقال عضد الدين فى المواقف: الإيمان عندنا هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة.

وقال شارحه السيد الشريف: يعنى بقوله عندنا اتباع أبى الحسن الأشعرى.

وقد قرر الغزالى هذا المذهب فى إحياء علوم الدين وأطال فيه.

وهو قول إمام الحرمين وقول الأشاعرة وقول القاضى الباقلانى والأستاذ أبى إسحق الاسفراينى ونسبه التفتازانى إلى جمهور المحققين(٦).

واستدل له بالأحاديث منها قوله (ص): من علم أن الله ربه وإنى نبيه صادقا عن قلبه حرم الله لحمه على النار(٧).

---

(٤) انظر كتاب الجنائز وكتاب الإيمان.

(٥) كما اشرنا سابقا.

(٦) إمام الحرمين هو الفقيه الشافعى المعروف بضياء الدين ابو المعالى عبدالملك الجوينى له الكثير من المصنفات ت عام ٤٧٨هـ.
والباقلانى هو القاضى ابو بكر محمد بن القاسم المعروف بالباقلانى البصرى من علماء الكلام الأشاعرة نسبة إلى ابى الحسن الأشعرى ت ٤٠٣هـ.
والاسفراينى هو إبراهيم بن مهران الاسفراينى من فقهاء الشافعية واهل الكلام ت ٤١٨هـ.

(٧) رواه الطبرانى فى الكبير عن عمران بن حصين.

وروى مسلم عن عثمان بن عفان ان رسول الله قال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة[٨].

وروى الطبرانى عن سلمة بن نعيم الأشجعى - رضى الله عنه - قال قال رسول الله (ص) من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة قال قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق[٩].

قال وفى أحاديث الشفاعة من هذا شئ كثير حتى يقال له (ص) أخرج من النار من فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان بتكرير أدنى ثلاث مرات.

وعقد البرزنجى فصلا مستقلا ذكر فيه كثيرا من تلك الأحاديث وكلها دالة على أن من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من إيمان لا يخلد فى النار.

ونقل التفتازانى فى شرح المقاصد والكمال بن الهمام فى المسايرة وابن حجر فى شرح الأربعين: إن شرط النجاة فى الآخرة إذا لم يطالب - به أى النطق بالشهادتين - فإذا طولب به وامتنع عنادا وكراهة للإسلام أى امتنع امتناعا على وجه الآباء عن الإسلام والكراهية والعناد فلا ينجو.

ويفهم من هذا القيد انه لو ترك النطق بعد المطالبة لا إباءا عنه ولا عنادا بل لعذر صحيح وقلبه مطمئن بالإيمان انه لا يكون كافرا فيما بينه وبين الله تعالى.

---

(٨) رواه مسلم فى كتاب الإيمان وهو دليل صريح على إيمان ابى طالب حيث ربط الإيمان بالعلم لا بالنطق.

(٩) روى هذا الحديث أيضا مسلم فى كتاب الإيمان والبخارى كتاب اللباس وكتاب الجنائز. انظر اللؤلو والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لا يضره.

قال تعالى: «**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**» فهذه النصوص كلها تدل على ان الإيمان هو التصديق فقط ويقابلها القول بأن التصديق وحده لا يكفى بل لابد من النطق باللسان مع التصديق فمن لم ينطق مع قدرته كان مخلداً فى النار وقال بهذا كثيرون(١٠).

ونقل النووى فى شرح مسلم اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على هذا القول واعترضوا عليه فى حكاية الاتفاق(١١).

قال ابن حجر فى شرح الأربعين ان لكل من الأئمة الأربعة قولا بأنه مؤمن عاص بترك التلفظ بل الذى عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققى الحنفية كما قال المحقق الكمال بن الهمام وغيره أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب انتهى.

ثم ذكر اختلاف العلماء فى أنه هل يشترط لفظ الشهادتين بلفظهما المعروف أو يكفى الإتيان بغير المعروف مما يدل على الإيمان.

وذكر فيه قولين للعلماء فقيل إنه يشترط اللفظ المعروف ولا يكفى غيره والراجح انه لا يشترط خصوص اللفظ المعروف وأن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف(١٢).

---

(١٠) اى من أهل السنة. انظر شرح الطحاوية.

(١١) انظر كتاب الإيمان.

(١٢) راجع ما اشرنا إليه سابقا. وهى مسألة محل خلاف. وما دامت المسألة قد دخلت دائرة الخلاف فهذا يعنى انعدام الجزم ببطلان المرجح.

وعبارة البرزنجى ثم ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصهما خلافا للغزالى كما ذكر ذلك النووى فى الروضة ونسبه إلى الجميع فنقل عن الحليمى فى منهاجه أنه لا خلاف أن الإيمان ينعقد بغير القول المعروف وهو كلمة لا إله إلا الله.

حتى لو قال لا إله غير الله أو ماعدا الله أو سوى الله أو من إله إلا الله أو لا إله إلا الرحمن أو لا رحمن إلا الله أو إلا البارى فهو كقوله لا إله إلا الله.

وكذا لو قال محمد نبى الله أو مبعوثه أو أحمد أو الماحى أو غير ذلك أو ما يؤدى ذلك باللغات العجمية صح إسلامه وحكم بكونه مسلمًا.

الباب الثانى: أبو طالب والنبى (ص)

ثم قال البرزنجى إذا علمت ذلك فنقول تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبى (ص) ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدقه فيما يقوله ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصره وكان يمدحه فى اشعاره بما يدل على تصديقه وكان ينطق بأن دينه حق فمن كلامه المعروف:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا

ومن شعره قوله:

الم تعلموا أنا وجدنا محمدًا   رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب[١]

وقد أوصى قريشًا باتباعه وقال والله لكأنى به وقد غلب ودانت له العرب والعجم فلا يسبقنكم إليه سائر العرب فيكونوا أسعد به منكم.

وهذه الوصية تكررت منه مرارًا تارة يوصى بها بنى هاشم وتارة يوصى بها كافة قريش.

وأوصى قريشًا عند قرب موته بوصية طويلة ولفظها: يامعشر قريش أنتم صفوة

---

(١) البيت الأول والثانى وردا فى سيرة ابن إسحاق مع اختلاف يسير ولم يورد ابن هشام فى شرحه لسيرة ابن إسحاق البيت الأول.
ونص البيت الأول هو:
وعرضت دينا قد عرفت أنه   خير أديان البرية دينا
ونص البيت الثانى عند ابن إسحاق وابن هشام هو:
الم تعلموا أنا وجدنا محمدًا   نبيًا كموسى خط فى أول الكتب

الله من خلقه وانتم قلب العرب وفيكم السيد المطاع والمقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا احرزتموه ولا شرفا إلا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الرب.

وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعنى الكعبة - فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطاة وصلوا ارحامكم فإن صلة الرحم منسأة اى فسحة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا داعى الله واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام.

وأوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن.

وايم الله كأنى انظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس د أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء ريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا وإذا اعظمهم عليه احوجهم إليه وابعدهم منه احظاهم عنده. قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها.

يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة.

وفى رواية دونكم وابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله إلا رشد ولا يأخذ احد بهدية إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تاخير لكففت عنه

الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى[٢].

فانظر واعتبر أيها الواقف على هذه الوصية كيف وقع جميع ما قاله ابو طالب بطريق الفراسة الصادقة الدالة على تصديقه النبى.

وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا.

وقد نوه ابو طالب بنبوة النبى قبل ان يبعث لأنه ذكر ذلك فى الخطبة التى خطب بها حين تزوج (ص) بخديجة رضى الله عنها.

فقال فى خطبته تلك الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حصنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبًا وحرمًا آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن برجل إلا رجح شرفا ونبلاً وفضلاً وعقلاً وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جسم وكان هذا قبل بعثته (ص) بخمس عشرة سنة[٣].

فانظر كيف تفرس فيه ابو طالب كل خير قبل بعثته فكان الأمر كما قال وذلك من أقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه بالنبى حين بعثه الله تعالى.

---

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى وانظر دلائل أبى نعيم.

(٣) ورد نص هذه الخطبة فى صفة الصفوة لابن الجوزى جـ ٣٩/١. ط بيروت من اول الكلام حتى قوله لايوزن. وبقية الكلام مختلف وليس فيه إشارة إلى نبوة محمد (ص) ووردت بكاملها فى هامش باب تزويج خديجة . سيرة ابن هشام تحقيق محيى الدين عبدالحميد.

وروى البخارى فى تاريخه عن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه أن قريشًا قالت لأبى طالب رضى الله عنه إن ابن أخيك هذا قد آذانا.

فقال للنبى (ص) إن بنى عمك هؤلاء زعموا انك تؤذيهم.

فقال لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله (ص) باكيًا
فقال ابو طالب يا ابن اخى قل ما أحببت فو الله لا نسلمك لهم أبدًا.

وقال لقريش والله ما كذب ابن اخى قط[٤].

فانظر إلى نفى الكذب عنه بالحلف بحضور خصمائه قريش وقد جاؤه يشكون إليه.

وانظر إلى قوله زعموا انك تؤذيهم حيث لم يطلق القول بأنه يؤذيهم بل جعل ذلك أذى باعتبار زعمهم وانهم يزعمون انه من قبل نفسه وليس من عند الله فقال إن كان أذى أى كما زعموا فانته عن أذاهم فلما قال له إنه من عند الله بيقين كما انكم على يقين من رؤية هذه الشمس صدقه ونفى عنه الكذب وقال الله ما كذب ابن اخى قط.

وقد روى أبو طالب أحاديث عن النبى وكلمات تدل على إيمانه وامتلاء قلبه من التوحيد.

---

(٤) انظر سيرة ابن هشام جـ ١. وتاريخ الطبرى جـ ١.

فمن ذلك ما رواه الخطيب البغدادى بإسناده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمداً الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه على بن ابى طالب قال سمعت أبا طالب يقول حدثنى محمداً ابن أخى وكان والله صدوقا قال: قلت له بم بعثت يا محمد؟ قال: بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة(٥).

والمراد من الصلاةركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها كانتا فى أوائل الإسلام أو المراد صلاة التهجد فإنه (ص) كان يفعله من اول بعثته.

ولا يصح حمل الصلاة على الصلوات الخمس لأنها إنما فرضت ليلة الإسراء وكان ذلك بعد موت أبى طالب بنحو سنة ونصف وكان موت ابى طالب فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من البعثة وعمره بضع وثمانون سنة.

والمراد من الزكاة مطلق الصدقة وإكرام الضيف وحمل الكل ونحو ذلك من الصدقات المالية.

ومثل هذه الأشياء كان أبو طالب أسها ومعدنها.

وليس المراد الزكاة الشرعية المعروفة ولا زكاة الفطر لأن ذلك إنما فرض بعد الهجرة فى المدينة وكل ذلك كان بعد موت ابى طالب.

وأخرج الخطيب أيضاً بسنده إلى أبى رافع مولى أم هانىء بنت أبى طالب أنه سمع أبا طالب يقول حدثنى محمداً ابن أخى أن الله امره بصلة الأرحام وأن يعبد الله لا يعبد معه أحداً. قال ومحمد عندى الصدوق الأمين.

---

(٥) انظر تاريخ بغداد وهذا الإسناد خاص بآل البيت.

وقال ايضًا سمعت ابن اخى يقول اشكر ترزق ولا تكفر تعذب.

واخرج ابن سعد والخطيب وابن عساكر عن عمرو بن سعيد ان ابا طالب قال كنت بذى المجاز مع ابن اخى فأدركنى العطش فشكوت إليه ولا أرى عنده شيئًا قال فثنى وركه ثم نزل فاهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت(٦).

قال البرزنجى فلو لم يكن موحدًا لما رزقه الله الماء الذى نبع للنبى (ص) الذى هو افضل من ماء الكوثر ومن ماء زمزم.

وقال، الذى يرى مثل هذه المعجزة كيف لا يقع التصديق فى قلبه وقد كثرت القرائن الدالة على التصديق.

وأخرج ابن عدى عن أنس بن مالك قال مرض أبو طالب فعاده النبى فقال يا ابن اخى ادع الله أن يعافينى فقال اللهم اشف عمى فقام كأنما نشط من عقال.

واخرج أبو نعيم من طريق أبى بكر بن عبدالله بن الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت ابا طالب يحدث عن عبدالمطلب إنه راى فى منامه أن شجرة نبتت من ظهره قد نال راسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب قال وما رايت نورًا ازهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفًا.

ورأيت العرب والعجم ساجدين وهى تزداد كل ساعة عظمًا ونورًا وارتفاعًا ساعة تخفى وساعة تظهر.

---

(٦) صفة الصفوة، جـ ١/ ٤٠ وطبقات ابن سعد، جـ ١/ باب ذكر علامات النبوة فى رسول الله قبل أن يوحى إليه. وانظر تاريخ بغداد وتاريخ دمشق.

ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقومًا من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها اخذهم شاب لم أرقط احسن منه وجهًا ولا أطيب ريحًا فيكسر اظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدى لأتناول نصيبًا فلم انل.

فقلت لمن النصيب؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها.

فانتبهت مذعورًا فاتيت كاهنة لقريش فأخبرتها فرأيت وجه الكاهنة قد تغير. ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس.

فقال عبدالمطلب لأبى طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى (ص) قد بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين.

فيقال له الا تؤمن فيقول السبة والعار(٧).

وإنما كان يقول ذلك تعمية وتسترًا وإظهارًا لقريش إنه على دينهم ليتم له نصرة النبى وحمايته لأنهم حيث علموا انه معهم وعلى دينهم يقبلون حمايته بخلاف ما لو اظهر لهم مخالفتهم واتباعه النبى (ص) فهذا هو العذر له فى قوله السبة والعار وفى بقائه ظاهرًا على دينهم.

وأخرج ابن سعيد عن عبدالله بن ثعلب بن صغير العذرى إن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بنى عبدالمطلب فقال لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه واعينوه ترشدوا.

---

(٧) دلائل النبوة.

قال البرزنجى قلت بعيد جدًا أن يعرف أن الرشاد فى اتباعه ويأمر غيره ثم يتركه هو.

وروى الحافظ ابن حجر فى الإصابة عن على رضى الله عنه انه لما أسلم قال له أبو طالب الزم ابن عمك.

واخرج أيضًا عن عمران بن حصين إن أبا طالب قال لابنه جعفر صل جناح ابن عمك فصلى جعفر مع النبى (ص) كما صلى على رضى الله عنه[٨].

قال البرزنجى: فلولا إنه مصدق بدينه لما رضى لإبنيه أن يكونا معه وأن يصليا معه بل ولا كان يامرهما بالصلاة فإن عداوة الدين أشد العداوات كما قيل:

كل العداوات قد ترجى إماتتها   إلا عداوة من عاداك فى الدين

فهذه الأخبار كلها صريحة فى أن قلبه طافح وممتلىء بالإيمان (ص).

ومن ذلك أيضًا إن أبا طالب سافر إلى الشام وكان عمر النبى (ص) إذ ذاك تسع سنين فصحبه معه فرآه بحيرا الراهب - بفتح الباء - ورأى فيه علامات النبوة فأخبر عمه أبا طالب وأمره بارجاعه إلى مكة مخافة عليه من اليهود فرده إلى مكة[٩].

ومن ذلك أيضًا ما شاهده أبو طالب فى زمن عبدالمطلب من استسقائه بالنبى (ص).

---

(٨) انظر ترجمة الإمام على فى جـ ٢. وانظر ترجمة جعفر فى جـ ١ ترجمة رقم ١١٦٦.

(٩) انظر قصة بحيرا الراهب فى سيرة ابن هشام جـ ١ وطبقات ابن سعد جـ ١ وكتب التاريخ .

فقد روى الخطابى أن قريشًا تتابعت عليهم سنوجدب فى حياة عبدالمطلب فارتقى هو ومن حضر معه من قريش ابا قبيس بعد أن استلموا ركن البيت فقام عبدالمطلب واعتضد النبى (ص) فرقعه على عاتقه وهو يومئذ غلام ثم دعا فسقوا فى الحال.

واستسقى به أبو طالب أيضًا بعد وفاة عبدالمطلب حين أصاب أهل مكة قحط شديد فأتوا أبا طالب فقالوا له قد أقحط الوادى وأجدب العيال فهلم فاستسق. فخرج أبو طالب ومعه النبى (ص) وهو غلام فأخذه أبو طالب فألصقه بالكعبة ولاذ الغلام أى أشار بإصبعيه إلى السماء كالملتجىء وما فى السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأمطرت السماء واغدودق الوادى وكثر قطره وأخصب النادى والبادى.

وفى هذه يقول أبو طالب بعد بعثه النبى يذكر قريشًا يده (ص) وبركته عليهم من صغره:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل[10]

فهذه الآثار والأخبار كلها صريحة فى أن أبا طالب رأى من الآيات والمعجزات وخوارق العادات التى ظهرت للنبى (ص) ما أوجب أن يصدقه ويؤمن به إيمانا لا شك فيه ولا تردد.

ورأى أبو طالب أيضًا للنبى (ص) أيات وخوارق عادات فى صغره غير هذه وذلك أن أبا طالب كان قليل المال وكان ذا عيال فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعًا أو فرادى

---

(١٠) البيت الأول ذكره ابن هشام بعد حديث استسقاء رسول الله لأهل المدينة والبيتين ذكرا قبل ذلك فى قصيدة طويلة لأبى طالب مع اختلاف كلمة رحمه بدل نعمة فى البيت الثانى.

لم يشبعوا وإذا اكل معهم النبى (ص) شبعوا فكان ابو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم انتم كما انتم حتى ياتى ابنى فياتى رسول الله فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم وإذا كان طعامهم لبنا شرب رسول الله أولهم ثم تناول العيال القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أى جميعهم من القدح وإن كان احدهم وحده يشرب قدحًا واحدًا وحده فيقول ابو طالب للنبى (ص) إنك لمبارك(١١).

واخرج ابو نعيم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان ابو طالب يحب النبى (ص) حبًا شديدًا لا يحب أولاده مثله ولذا لاينام إلا جنبه ويخرجه معه حين يخرج.

وكان النبى (ص) يحب أيضًا أبا طالب حبًا شديدًا ولا يأوى إلاإليه ولا يطمئن قلبه إلا باتصاله به وكان (ص) يقول لما مات ابو طالب: نالت قريش منى من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب.

وقال ايضًا: ما نالت قريش منى شيئًا اكره حتى مات ابو طالب.

ولما رأى قريشًا تهجموا على أذيته قال يا عم ما أسرع ما وجدت بعدك.

ومات أبو طالب وخديجة فى عام واحد فكان رسول الله (ص) يسمى ذلك العام عام الحزن(١٢).

---

(١١) انظر طبقات ابن سعد .

(١٢) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ سنة وفاة ابى طالب عام الحزن.

ولما ظهر أمر النبى (ص) وصار يدخل فى دينه كثير من الناس اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله.

وقالوا قد افسد علينا ابناءنا ونساءنا.

وقالوا لبنى هاشم خذوا هذه دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحوا أنفسكم.

فأبى بنو هاشم. فعند ذلك اجتمع راى قريش على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب وإخراجهم إلى شعب ابى طالب والتضييق عليهم بالمنع من حضور الأسواق وان لايناكحوهم وان لا يقبلوا لهم صلحًا ابدًا ولا تاخذهم بهم رافة حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة[١٣].

وقيل إن ابا طالب لما راى اجتماع قريش على قتل النبى (ص) جمع بنى هاشم وبنى المطلب مؤمنهم وكافرهم وامرهم أن يدخلوا برسول الله الشعب ويمنعوه ففعلوا ولم يتخلف عنهم إلا أبو لهب.

فلما علمت قريش ذلك اجمع رايهم على أن يكتبوا عهودًا ومواثيق على أن لا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحًا أبدًا وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة.

---

(١٣) انظر قصة حصار قريش لبنى هاشم فى الشعب وقصة الصحيفة فى سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

ومكث بدو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين واصابهم ضيق شديد حتى اكلوا ورق الشجر يتقوتون به.

وكان ابو طالب فى تلك المدة يتحفظ غاية التحفظ على النبى (ص) حتى أنه إذا جاء الليل واراد النبى أن ينام يفرش له فراش فى الموضع الذى يعتاد أن ينام فيه فيضطجع فيه النبى ثم يقيمه عمه عن فراشه المعتاد ويأمر بعض بنيه أن ينام فى ذلك الموضع ويفرش للنبى فى موضع آخر غير معتاد نومه فيدعه ينام فيه كل ذلك مبالغة فى حفظه وحراسته.

والذى كتب الصحيفة لقريش شلت يده واوحى الله تعالى للنبى (ص) انه سبحانه وتعالى سلط الأرضة على صحيفتهم التى كتبوها وعلقوها فى الكعبة فأكلت ما فيها من عهد وميثاق وقطيعة رحم ولم يبق فى الصحيفة غير اسم الله عز وجل فإنهم كانوا يكتبون باسمك اللهم.

فأخبر النبى عمه ابا طالب بذلك فخرج من الشعب حتى أتى المسجد فاجتمع عليه قريش وظنوا انه يريد أن يسلمهم النبى ليقتلوه.

فقالوا له توبيخا له ولمن معه قد آن لكم أن ترجعوا عما احدثتم علينا وعلى انفسكم.

فقال ابو طالب إنما اتيتكم فى امر نصف بيننا وبينكم - اى أمر وسط - لا حيف فيه علينا ولا عليكم إن ابن اخى اخبرنى ولم يكذبنى قط أن الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التى كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم او قطيعة رحم

وبقى بها كل ما ذكر به الله تعالى فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا - فى رواية - نزعتم اى رجعتم عن سوء رأيكم وإن لم ترجعوا فو الله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا.

وإن كان الذى يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم.

فقالوا قد رضينا بالذى تقول.

وفى رواية أنصفتنا فأخرجوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر الصادق المصدوق (ص).

فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا اى قال اكثرهم هذا سحر ابن اخيك وزادهم ذلك بغيًا وعدوانا.

وبعضهم ندم وقال هذا بغى منا على إخواننا وظلم.

فقال لهم ابو طالب بعد أن وجد الأمر كما أخبر (ص) يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين إنكم أولى بالظلم والإساءة والقطيعة.

ودخل ابو طالب ومن معه تحت أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا إلى الشعب.

وعند ذلك مشى طائفة منهم فى نقض الصحيفة وإبطال ذلك الحصار[١٤].

---

(١٤) انظر طبقات ابن سعد جـ ١ / باب ذكر حصر قريش رسول الله (ص) وبنى هاشم فى الشعب. وانظر سيرة ابن هشام جـ١ / باب خبر الصحيفة وباب حديث نقض الصحيفة.

والكلام على ذلك طويل وإنما القصد بيان ان ابا طالب أطلعه الله على كثير مما خص الله نبيه به من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدا أمره (ص) وهو صغير إلى منتهاه وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات صار قلبه مشحونا ممتلئا بالإيمان والتصديق بالنبى (ص) إيمانا قطعيا لا شك فيه ولا شبهة ولم يظهر ذلك الإيمان ويتابعه ظاهرا مبالغة فى حفظ النبى وحمايته وصيانته عما يؤذيه فكان يظهر لقريش انه على ملتهم ودينهم فلا يستطيعون مخالفته.

فمن عرف ذلك وقف على باطن الأمر وحقيقته. ولم يشك فى إيمان ابى طالب فكان فى نصرة النبى يخادع قريشا مخادعة الحرب حتى تم أمر النبى (ص) وفشت دعوته.

الباب الثالث: شعر أبى طالب

وقد صرح بالتصديق بنبوة النبى (ص) فى كثير من اشعاره وكان فى بعض تلك الأشعار يأتى بألفاظ توهم على قريش أنه معهم وانه على ملتهم كل ذلك مخادعة لهم للمبالغة فى حفظ النبى وحمايته فمن اشعاره التى دلت على تصديقه بنبوة النبى (ص) ما تقدم من قوله:

الم تعلموا انا وجدنا محمدًا رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها فى زمن محاصرة قريش لهم فى الشعب وهى قصيدة طويلة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبى وعلى التصديق بنبوته وشدة حمايته له والذب عنه ومطلعها:

الا بلغا عنى على ذات بيننا لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب
الم تعلموا انا وجدنا محمدًا رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب

ويروى نبيًا كموسى خط ذلك فى الكتب.

وإن عليه فى العباد مودة ولا خير ممن خصه الله بالحب

ومنها:

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدًا لعزاء من عض الزمان ولا كرب[١]

ومن شعره قوله:

---

(١) انظر ابن هشام جـ/١ باب خبر الصحيفة.

وشق له من اسمه ليجله　　فذو العرش محمود وهذا محمد

هكذا نسب الحافظ بن حجر فى الإصابة هذا البيت لأبى طالب وقيل إنه لحسان ابن ثابت الأنصارى.

قال البرزنجى، ولا مانع أن يكون لأبى طالب وأخذه حسان فضمنه شعره.

واجتمع مرة كفار قريش وجاؤا أبا طالب ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وكان من أحسن فتيان قريش وقالوا لأبى طالب خذ هذا بدل محمد يكون كالأبن لك واعطنا محمدًا نقتله.

فقال ما انصفتمونى يا معشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابنى تقتلونه ثم قال،

والله لـن يصلـوا إليك بجمعهـم　　حتى أوسد فى التراب دفينـا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة　　وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنـى وعلمـت انـك صـادق　　ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقـد علمـت بأن ديـن محمـد　　من خير اديان البرية دينا[٢]

وزاد بعضهم بعد هذا،

---

(٢) انظر النص فى سيرة ابن هشام دون الأبيات المذكورة باب الجهر بالدعوة جـ/١.
وورد الأبيات فى نص ابن إسحاق باب ما نال اصحاب رسول الله (ص) من البلاء والجهد. مع اختلاف فى بعض الكلمات.

لولا المسبة او حذار ملامة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا[٣]

فقيل إن البيت موضوع ادخلوه فى شعر ابى طالب وليس من كلامه وقيل انه من كلامه واتى به للتعمية على قريش ليوهم عليهم انه معهم وعلى ملتهم ولم يتابع محمدًا ليقبلوا حمايته ويمتثلوا امره.

ومن شعره قوله فى النبى (ص):

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى رحمة وفواضل

وهذان البيتان من قصيدة طويلة لأبى طالب قيل إنها ثمانون بيتا افرد لها بعض العلماء شرحًا مستقلا وقيل إنها تزيد على مائة بيت قالها ابو طالب حين حصر قريش لهم فى الشعب واخبر قريشًا انه غير مسلم محمدًا رسول الله (ص) لأحد ابدًا حتى يهلك دونه ومدحه فيها مدحًا بليغا واتى فيها بكلام صريح فى انه مصدق بنبوته ومؤمن به فمنها البيتان السابقان ومنها قوله:

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد واحببته حب المحب المواصل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعزى لقول الاباطل
فمن مثله فى الناس اى مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش يوالى إلهًا ليس عنه بغافل
فأصبح فينا أحمد فى أرومة تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفس دونه رحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل[٤]

---

(٣) هذه الزيادة وردت فى نص ابن إسحاق.

(٤) انظر سيرة ابن هشام وهذه الأبيات منتقاة من قصيدة طويلة لأبى طالب.

وفى القصيدة أبيات كثيرة مثل هذه فى المعنى والبلاغة.

قال ابن كثير أن هذه القصيدة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه وهى افحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى(٥).

واخرج البيهقى عن انس بن مالك قال جاء أعرابى إلى النبى (ص) وشكا الجدب والقحط وانشد أبياتا فقام رسول الله (ص) حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بأبرقها ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من كثرة المطر خوف الغرق فقال اللهم حوالينا ولا علينا وضحك (ص) حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيًا لقرت عيناه. من ينشدنا قوله؟

فقال على رضى الله عنه وكرم وجهه كأنك تريد قوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال (ص) أجل(٦).

قال البرزنجى: فقول النبى (ص) لله در أى طالب يشهد له بأنه لو راى النبى وهو يستسقى على المنبر لسره ذلك ولقرت عيناه فهذا من النبى شهادة لأبى طالب بعد موته انه كان يفرح بكلمات النبى وتقر عينه بها وما ذلك إلا لسر وقر فى قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكمالاته.

---

(٥) البداية والنهاية: جـ ١.

(٦) انظر دلائل النبوة وجاء نص هذا الحديث فى سيرة ابن هشام ايضا غير انه لم يشر إلى ذكر على فيه .

ثم قال البرزنجى: فتأمل هذه المعانى الدقيقة ولا تكن ممن استحقرها لحقارة قائلها وفوق كل ذى علم عليم.

ومن غرر مدائح ابى طالب للنبى (ص) الدالة على تصديقه إياه قوله:

إذا أجمعت يوما قريش لمفخر   فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أنساب عبد منافها   ففى هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يومًا فإن محمدًا   هو المصطفى من سرها وكريمها

وهذا موافق لقوله (ص) واصطفانى من بنى هاشم[٧].

قال البرزنجى: وهذا نطق بالوحى قبل صدوره من النبى فإنه اخبر بذلك بعد مدة من قول ابى طالب.

والحديث وحى كالقرآن فثبت بهذه الأخبار والأشعار ان أبا طالب كان مصدقا بنبوة النبى وذلك كاف فى نجاته.

قال القرافى فى شرح التنقيح عند قول أبى طالب:

وقد علموا ان ابننا لا مكذب   لدينا ولا يعزى لقول الأباطل

---

(٧) جاءت هذه الأبيات فى سيرة ابن هشام. اما حديث الاصطفاء فنصه:
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم. رواه مسلم كتاب الفضائل. باب فضل نسب النبى (ص) .

إن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان وإن ابى طالب ممن آمن بظاهره وباطنه غير انه كفر ظاهرا ولم يذعن للفروع.

وكان يقول إنى لأعلم ان ما يقول ابن اخى حق ولولا إنى أخاف أن تعيرنى نساء قريش لاتبعته اهـ.

وإجيب كما مر بأنه لم يذعن ظاهرًا خوفا من ان قريشًا لا تقبل حمايته.

وقوله لولا إنى اخاف أن تعيرنى نساء قريش إنما قال ذلك تعمية على قريش ليوهم عليهم أنه على دينهم وهذا عذر صحيح بلغ به تمكين النبى (ص) فى نبوته والدعوة إلى ربه.

وجاء فى مسلم انه يقال للنبى (ص) يوم القيامة أخرج من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان[٨].

فهذا الحديث وغيره مما يماثله من الأحاديث كلها تدل بظاهرها على أن النطق بالشهادتين ليس شرطا فى النجاة بل ولا دخل له فيها وإلا لما كان قائلها نفاقا فى الدرك الأسفل من النار.

---

(٨) مسلم كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار وليس هذا نصه. فقد ورد كما يلى: يدخل الله اهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل اهل النار النار ثم يقول، انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجوه.

الباب الرابع: أبو طالب والشفاعة

قال البرزنجي: وهذا الذى اخترناه من كون نجاة أبى طالب لما كان عنده من التصديق الكافى فى النجاة فى الآخرة هو طريق المتكلمين من ائمتنا الأشاعرة وهو مادلت عليه أحاديث الشفاعة وأحاديث الشفاعة كثيرة وكلها فيها التصريح بأنها لا تنال مشركا وقد نالت الشفاعة أبا طالب كما سيأتى بيانه فدل ذلك على عدم اشراكه.

ثم ذكر البرزنجى الدلائل التى تمسك بها القائلون بعدم نجاته وقلب استدلالهم بها على عدم النجاة وجعلها دالة على النجاة.

فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه عم النبى (ص) انه قال لرسول الله (ص) أن أبا طالب كان يحوطك اى يحفظك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك.

قال نعم وجدته فى غمرات من النار.

اى مشرفا عليها كما سيأتى تفسيره.

وفى رواية: وكان فى غمرات من النار أى مشرفا عليها فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار[١].

والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار.

---

(١) البخارى فى كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبى طالب. ومسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبى (ص) لأبى طالب.

وفى رواية للبخارى ومسلم أيضًا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه (ص) ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تناله شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضحاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منها دماغه[٢].

وروى مسلم وغيره عنه (ص) ان أبا طالب أهون أهل النار عذابًا[٣].

قال القائلون بعدم نجاته أن هذه الأحاديث الصحيحة دالة على كفره وعلى أنه فى النار فلا يمكن القول بنجاته لأن النبى (ص) أخبر بحاله فيما بينه وبين الله فى الدار الآخرة فدل انه لم يكن مصدقا بقلبه وأما ما صدر منه من نصرة النبى (ص) فإنما كان من باب حمية العرب والأنفة من ان يغتال ابنه من بين يديه وقد كلفه بذلك عبدالمطلب.

ثم قال البرزنجى، قلت الجواب إن نفس الأحاديث التى ذكرت تدل على نجاته وذلك ان الله تعالى قد أخبر عن الكفار بأنهم لا يخفف عنهم من عذابها وبأنهم لا يفتر عنهم وبأنهم ما هم منها بمخرجين وبأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين إلى غير ذلك.

وقد ثبت فى الأثر الصحيح أن الجحيم هى الطبقة التى يعذب فيها عصاة المؤمنين ثم يخرجون منها وهى أعلى طبقات النار وعصاة المؤمنين عذابهم أخف من عذاب الكفار.

---

(٢) البخارى كتاب مناقب الأنصار. ومسلم كتاب الإيمان وانظر طبقات ابن سعد جـ ١ باب ذكر ابى طالب.

(٣) كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذابًا.

وحيث صح إن ابا طالب اهون أهل النار عذابًا على الإطلاق فيكون اهون عذابًا حتى من عصاة المؤمنين ولو لم نقل بذلك لما صدق قوله (ص): إنه اهون أهل النار عذابًا.

ولو فرض انه كافر يخلد فى النار وهو أهون أهل النار عذابًا لكان عذاب الكفر اهون من عذاب بعض المؤمنين العصاة وهذا لا يقول به احد.

فثبت أن عذابه اهون من عصاة المؤمنين.

وثبت انه تنفعه شفاعة النبى (ص) ولهذا خفف عنه العذاب وجعل اخف اهل النار عذابًا فاخرج من طمطام النار وغمراتها اى أبعد عما كان مشرفا على دخوله لولا النبى (ص) إلى ضحضحاح منها والبس نعلين من النار فصارت لا تغلى ظهور رجليه وهذه هى أعلى النار لا أعلى منها بحيث ان النار ما مست إلا تحت قدميه وليس ذلك إلا فى الطبقة الفوقانية التى مكان عصاة هذه الأمة.

وقد صحت الأحاديث بانهم يخرجون منها بحيث لا يبقى فيها من كان فى قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل من إيمان[٤].

وقد صح ايضًا ان هذه الطبقة بعدما يخرج منها عصاة هذه الأمة تنطفى نارها وتصفق الريح أبوابها وينبت فيها الجرجير ولا يجوز أن ينبت فيها الجرجير وفيها نار تمس تحت القدم فوجب أن يخرج منها أبو طالب بهذه الأدلة وكلها صحيحة.

---

(٤) انظر مسلم كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجًا. والبخارى كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وكتاب التوحيد وسنن البيهقى ومسند احمد وانظر أبواب الشفاعة فى كتب العقائد.

ثم قال البرزنجي ، ونقول ورد فى الصحيح انه (ص) قال شفاعتى لأهل الكبائر[٥].

وفى لفظ، لمن لم يشرك بالله شيئا. واللام للاختصاص مثل الحمد لله.

ومعناه شفاعتى مختصة بأهل الكبائر وحيث كانت مختصة بأهل الكبائر فهى لا تكون لمشرك يعنى أن الشفاعة التى لغفران الذنوب تختص بأهل الكبائر فإن الصغائر يكفرها اجتناب الكبائر.

والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأن الله لا يغفر أن يشرك به وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة لأن كل عذاب فى مقابلة ذنب ما لم يغفر ذلك الذنب لا يرفع عنه العذاب الذى فى مقابلته وإذا لم يغفر الشرك صدق أن لا تنفعه شفاعة الشافعين.

والشافعين جمع محلى باللام فيفيد العموم لجميع الشافعين فتدخل شفاعته (ص) فإنها لا تنفع الكافرين كما لا تنفعهم شفاعة غيره.

وأبو طالب قد نفعته شفاعة النبى (ص) فخفف عنه العذاب واخرج من غمرات النار إلى ضحضاح النار بشفاعة النبى (ص) فوجب ان يكون من اهل الكبائر ما عدا الكفر ووجب أن يخرج من النار لأنه صار من عصاة الأمة الذين هم فى الطبقة العليا وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة وهذا معنى قوله (ص) أرجو له من ربى كل خير.

---

(٥) رواه احمد والبيهقى. والبخارى فى كتاب التوحيد.

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل رسول الله (ص) ما ترجو لأبى طالب قال كل الخير أرجو من ربى[٦].

ولا يرجى كل الخير إلا لمؤمن ولا يجوز أنه يراد بهذا ما حصل من تخفيف العذاب فإنه ليس خيرًا فضلاً عن أن يكون كل الخير وإنما هو تخفيف الشر وبعض الشر اهون من بعض والخير كل الخير دخول الجنة.

واخرج تمام الرازى فى فوائده بسند يعتد به فى المناقب عن ابن عمر قال. قال رسول الله (ص) إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وامى وعمى ابى طالب واخ لى كان فى الجاهلية.

أورده المحب الطبرى فى كتابه ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى.

واخرجه أبو نعيم وصرح بأن الأخ كان من الرضاع.

قال البرزنجى: إن النار اسم للطبقات كلها وقد اخبر (ص) أن ابا طالب اخف أهل النار عذابًا على الاطلاق وبين وجه ذلك بأن النار لا تمس إلا تحت قدميه.

فلا يجوز ان يكون كافرًا لأن فى المؤمنين من صح الأخبار عنهم فى ذنب واحد من الغلول أو العقوق أو تعذيب الهرة أو التبختر بعذاب أكبر من هذا.

فقد جاء فيمن غل من الغنيمة شملة صغيرة انها تلتهب عليه نارًا.

---

(٦) انظر طبقات ابن سعد باب ذكر ابى طالب وتاريخ دمشق لابن عساكر.

وفيمن غل بردة من صوف انه جعل له درع مثلها من نار وأن من جاء بريئا من الغلول دخل الجنة.

وجاء أن عقوق الوالدين من اكبر الكبائر(٧).

وذكر فى بعض الأحاديث بعد الشرك بالله وفى القرآن «**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانا**» وصح ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف(٨).

وصح أيضًا لا ينظر الله يوم القيامة لعاق والديه.

وصحت أحاديث كثيرة فى شدة عذاب العاق لوالديه وانه آخر من يخرج من النار من العصاة.

وصح دخلت امراة النار فى هرة.

أى بسبب حبسها هرة.

وصحت أحاديث كثيرة فى النهى عن التبختر وشدة العذاب لمن تبختروا.

---

(٧) انظر البخارى ومسلم كتاب الأدب والبر والأنبياء واللباس والجهاد وكتب السنن الأخرى. وروى مسلم عن الرسول (ص) قوله: اجتنبوا الموبقات السبع: الشرك بالله. والسحر. وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. كتاب الإيمان باب بيان الكبائر.

(٨) روى مسلم فى كتاب الإيمان عن ارسول قوله: «الا انباكم باكبر الكبائر ثلاثا: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور. باب بيان الكبائر.

ولوكان ابو طالب كافرًا لكان عذاب الكفر دون عذاب الكبائر مع ان عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعًا وهذا لاشك فيه فإن الكفر اكبر الكبائر ولايغفر بخلاف بقية الكبائر ولو وجد مؤمن عاص اخف عذابًا من ابى طالب لزم الخلف فى قول الصادق (ص) حيث جعله اخف أهل النار عذابًا على الاطلاق.

فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين بل يكون أخف العصاة عذابًا وهذا العذاب فى مقابلة كبيرة هى ترك النطق بالشهادة إن قلنا انه لم ينطق بها وإن ترك النطق بها معصية من كبائر المعاصى وإن عذره فى ترك النطق بها لا يمنع من صحة الإيمان لكنه لا ينفى كون ذلك الترك معصية او نطق بها ولم يسمعها النبى (ص) فلم يعتد بها فكانه ما نطق بها.

وذلك ان النبى (ص) حضر ابا طالب عند الموت وعنده ابو جهل وعبد الله بن امية المخزومى.

فقال له النبى، اى عم قل لا إله إلا الله كلمة احاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن امية يا أبا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب. فلم يزالا يردانه حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وابى أن يقول لا إله الا الله[٩].

وفى رواية فلما راى ابو طالب حرص رسول الله (ص) على إيمانه قال يا ابن اخى لولا مخافة قريش إنى إنما قلتها جزعًا من الموت لقلتها[١٠].

وفى رواية لما تقارب من ابى طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرك شفتيه --

---

(٩) انظر طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومسلم كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(١٠) المرجعين السابقين وانظر مسلم.

فاصغى إليه بإذنه فسمع منه الشهادة فقال للنبى (ص): يا ابن اخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بها.

ولم يصرح العباس بلفظ لا إله إلا الله لكونه لم يكن اسلم حينئذ.

فقال رسول الله لم أسمع[(١١)].

وهذا معنى قولهم انه (ص) لم يعتد بها فكأنه لم ينطق بها.

والقائلون بعدم نجاته لم يأخذوا بهذا الحديث لكون العباس شهد بها حال كفره قبل ان يسلم.

وبعضهم ضعف هذا الحديث.

فعلى تسليم عدم الاعتداد بنطقه هذا وان الحديث ضعيف فنقول: هو كافر باعتبار احكام الدنيا واما عند الله فهو مؤمن ناج ممتلىء قلبه إيمانا بدليل ما تقدم عنه.

مما يدل على ذلك انه يمكن ان عدم نطقه بحضور ابى جهل وعبدالله بن أمية حرصًا منه على بقاء الحفظ للنبى (ص) وصيانته من اذيتهم له بعد وفاته لأنه كان يرى أنه إذا أظهر لهم انه على دينهم تبقى حرمته وتعظيمه عندهم بعد وفاته فلا ينال النبى (ص) منهم أذى.

---

(١١) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ وفاة خديجة وابى طالب.

وإذا كان هذا قصده كان معذورًا فتكون إجابته لهما بما أجابهم به مداراة لهما لئلا ينفرهما خشية ان يؤذوا رسول الله (ص) بعد وفاته.

على أنه يمكن الجمع بين امتناعه ونطقه بأنه امتنع بحضورهما مداراة لهما فلما انطلقا وذهبا نطق بها وأصغى إليه العباس فسمعه ينطق بها.

ولهذا قال فى الحديث السابق ما كلمهم به - يعنى ابا جهل ومن كان معه - ولم يقل آخر ما تكلم به مطلقا فدل على ان قوله هو على ملة عبد المطلب دليل على انه على التوحيد لأن عبدالمطلب كان على التوحيد كبقية آبائه (ص) كما حقق ذلك الجلال السيوطى وغيره فى رسائل متعددة[١٢].

فأبهم ابوطالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهرًا وهو يعلم أن عبدالمطلب كان على التوحيد.

واخرج ابن عساكر عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله (ص) يقول إن لأبى طالب عندى رحًا سأبلها ببلالها.

والقائلون بعدم نجاته يقولون أن حديث البخارى ومسلم الذى فيه كان فى غمرات من النار يدفع إيمانه وأن هذا شأن من مات على الكفر.

قال البرزنجى: قلنا ليس من شأن من مات على الكفر يكون فى الضحضاح من النار بل شانه أن يكون فى الدرك الأسفل من النار فقبول الشفاعة فيه حتى صار فى

---

(١٢) رسائل السيوطى طبع بيروت ومنها رسالة فى إيمان السيدة آمنة ورسالة فى أن أبوى المصطفى فى الجنة.

ضحضحاح دليل على عدم كفره إذ لا تقبل فى الكافر شفاعة الشافعين.

وقوله (ص) لولا انا كان فى الدرك الأسفل من النار. معناه لولا أن الله هداه بى للإيمان لمات كافرًا وكان فى الدرك الأسفل من النار فهو نظير قوله (ص) فى ولد اليهودى الذى زاره فى مرضه وعرض عليه الإسلام فأسلم ومات: الحمد لله الذى انقذه بى من النار.

وحينئذ ظهر لنا معنى لطيف فى هذا الحديث الآخر الذى كان فى غمرات من النار فشفعت له فأخرج إلى ضحضاح منها وهو أن المعنى كان مشرفا على دخول الغمرات حيث أبى أن يشهد ثم تشفعت فيه فهداه الله للإيمان.

ولا ينافى هذا قوله انا لم اسمع لجواز أن الله اخبره بعد ذلك.

وقوله تعالى «**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**» [القصص: ٥٦].

وإن نزلت فى أبى طالب فنزولها فيه لا ينافى أن الله هو الذى هداه بعد أن ايس النبى منه(١٣).

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن على رضى الله عنه قال: اخبرت النبى (ص) بموت أبى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه واره غفر الله له ورحمه ففعلت.

وإنما ترك النبى (ص) المشى فى جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ.

---

(١٣) هذا على فرض التسليم بسبب النزول.

وقد ذكر اهل السير انه لما مات ابو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على راسه ترابًا فدخل (ص) بيته والتراب على راسه.

فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تزيل عنه التراب وهى تبكى.

ورسول الله (ص) يقول: لا تبكى يابنية فإن الله مانع اباك(١٤).

وقال: ما نالت منى قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب.

ويؤيد استعجال آذاهم له انهم قاموا من عند ابى طالب مغضبين حاقدين على رسول الله حيث كان يكرر على ابى طالب النطق بالشهادتين.

ولما راى رسول الله (ص) قريشًا تهجموا على اذيته قال ياعم ما أسرع ما وجدت فقدك.

وجاء فى رواية البيهقى أن عليًا رضى الله عنه لما مات ابو طالب قال: يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات.

قال: اذهب فواره. قلت: أنه مات مشركا.

قال: اذهب فواره.

---

(١٤) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢.

فلما واريته رجعت إلى النبى (ص) فقال اغتسل[١٥].

فقوله إن عمك الشيخ الضال قد مات مخالف للحديث السابق[١٦].

وأجيب بأن هذا منظور فيه إلى ظاهر حاله فى الدنيا ولعل عليًا رضى الله عنه قال ذلك بحضور سفهاء المشركين مداراة لهم فلا ينافى الحديث السابق المنظور فيه إلى باطن الحال وحقيقة نفس الأمر وهو إيمانه وتصديقه.

---

(١٥) رواه ابن سعد فى الطبقات ايضا.

(١٦) تامل تعبير الشيخ الضال وعلى لسان الإمام على تجده تفوح منه رائحة السياسة.

الباب الخامس: نجاة أبى طالب

والحاصل أنه يصح الاخبار عنه بالكفر بالنظر لظاهر الحال واحكام الدنيا فلا ينافى أنه مؤمن باعتبار باطن الأمر وما عند الله بدليل البراهين السابقة الدالة على إيمانه وتصديقه.

قال البرزنجى : إن اعتمادنا فى نجاته على المسلك الأول كافٍ فى النجاة ولا نحتاج إلى غيره لكن ذكرناه زيادة تأكيد للمدعى.

وقد استدل أيضًا للنجاة بقوله تعالى «**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**» الأعراف / ١٥٧ .

وقد صدقه أبو طالب ونصره بما اشتهر وعلم ونابذ قريشًا بسببه بما لا ينكره أحد من نقله الأخبار فيكون من المفلحين.

وقال القائلون بعدم النجاة إنه نصره لكنه لم يتبع النور الذى أنزل معه وهو الكتاب العزيز الداعى إلى التوحيد ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها.

قال البرزنجى: اقول إن أريد أصل النجاة من النار فهو إنما يترتب على الإيمان الذى هو التصديق عند المحققين وقد حصل له ذلك.

وإن أريد الفلاح التام فلا يلزم من عدمه حصول الكفر على أنا نقول قد اتبعه وأمر باتباعه لأن الظاهر من العواطف أى فى قوله «**آمنوا به واتبعوا**» كما هو الأصل فيه أن الاتباع غير الإيمان.

وإذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق وهو حاصل وإنما كان الاتباع فيما كان شرع حينئذ ولم يكن إلا التوحيد وصلة الأرحام وترك عبادة الاصنام.

كما مر عن ابى طالب انه سال النبى (ص) بم بعثت فأخبره انه بعث بصلة الأرحام وان يعبد الله ولا يعبد معه غيره.

ولم يكن فى ذلك الوقت فرضت الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ولا الجهاد فلم يبق إلا قول لا إله إلا الله فإن اعتبر بما يؤدى التوحيد فقد مر انه نطق بالوحدانية وبحقيقة الرسالة وتصديق النبى (ص) فى اشعاره.

وإنما طلب النبى (ص) ذلك منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة وإن لم يعتد به عند الموت فتكون تلك قرائن دالة على أنه مصدقا بقلبه وإنما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت.

والخوف من الموت عندهم عار وقد كانوا عريقين فى السيادة والمفاخرة بحيث لا يرضون أن ينسب إليهم اقل قليل مما يخالفها فلا يبعد أن يكون ذلك عندهم عظيمًا وذلك عذر.

وهذا بحسب ظاهر الأمر وأما فى باطن الأمر فالسبب الحقيقى فى عدم نطقه بحضور القوم المبالغة فى المحافظة على حماية النبى (ص) ونصرته لعلمه بأنه إذا نطق بذلك وعلموا انه اتبع النبى لم يعتدوا بحمايته وجاهه عندهم بل يخفرون ذمته وينتهكون حرمته ويبالغون فى أيذاء النبى.

وقد كان أبو طالب حريصًا على أن يكون أمر النبى (ص) فى دعوته الخلق إلى

الله تعالى باقيًا بعد موته فلذلك كان محافظا على بقاء حرمته فى قلوب قريش فلو نطق بالشهادتين وعلموا ذلك منه فإنه يفوت غرضه من كمال النصرة والحماية.

ثم ذكر البرزنجى: احتمالات بسبب تعذيب ابى طالب مع عصاة المؤمنين غير النطق بالشهادتين.

فقال يحتمل ذلك لترك الصلاة التى كانت فى أول الإسلام وهى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى فإن أبا طالب طلب منه صلاة تينك الصلاتين فامتنع.

وكذا التهجد الذى كان يفعله (ص) فى أول الإسلام فيحتمل ان امتناعه من ذلك كراهة ان يعلم قريش أنه اتبع النبى فلا يقبلون حمايته ولا يعملون بها فيكون امتناعه من تلك الصلاة مبالغة فى التعمية على قريش ومبالغة فى حماية النبى (ص) ونصرته فيكون ذلك عذرًا لكنه لا يمنع كون الامتناع معصية يعاقب عليها.

وكان هو فى الظاهر يعلل بغير ذلك فإنه لما طلب منه صلاة تلك الصلاة قال لا تعلونى أسى. فيكون ذلك الامتناع عنادًا واستكبارًا بحسب الظاهر فيعاقب عليه وإن كان مبالغة فى العمية على قريش ليوهمهم انه معهم وعلى دينهم.

ويحتمل ان دخوله النار كان لبعض حقوق العباد التى كانت عليه بعد البعثة.

وقد ذكر البرزنجى فى أول رسالته فى مبحث نجاة الأبوين نجاة جميع الآباء وأنهم كانوا على التوحيد.

ثم قال فى مبحث نجاة أبى طالب لم ينقل عن أحد من أعمام النبى (ص) أنه قال

لم تسب آباءنا وتشتم آلهتنا وتسفه احلامنا كما قالته بقية قريش فلو عرفوا من آبائهم ذلك لقالوا اترك ذكر آبائك بسوء.

واما عداوة ابى لهب فكانت بسبب مصاهرة ابى سفيان فإن ابا لهب كان متزوجًا اخت ابى سفيان أم جميل وسميت فى الإسلام أم قبيح وهى حمالة الحطب فكان أبو لهب يهوى هواهم.

فالظاهر ان أبا طالب كان على ملة آبائه ولو عبد ابو طالب صنمًا يلزم أن يكون أول من اشرك من هذه السلسة الطاهرة.

ولم يثبت بطريق ثابت أن أبا طالب أول من احدث الشرك وعبادة الأصنام من هذا النسب الطاهر والسلسلة المباركة.

والأصل عدم ذلك فهو تبع لعبد المطلب فى كل احواله من مكارم الأخلاق وحماية الذمار والرياسة حتى خرج من الدنيا وهو على ملة عبدالمطلب.

وهذا هو الذى اشار إليه ابو طالب لما قال لكفار قريش هو على ملة عبدالمطلب فخاطبهم بكلام محمل صحيح يخرجه عن الشك ويدخله فى زمرة الموحدين لما ستعمله من مناقب عبدالمطلب الدالة على أنه كان موحدًا وعمى عليهم الأمر ليبقى جاهه وحمايته عندهم.

والحاصل إن الأحاديث التى فيها ذكر كفر أبى طالب ودخوله النار إنما هى بالنسبة للأحكام الدنيوية نظرًا لظاهر الشرع وإن دخوله النار لأجل ترك التلفظ

بالشهادتين أو لأجل ترك فرض من الفرائض او لحق من حقوق العباد.

ولا يلزم من دخوله النار خلوده فيها وليس فى تلك الأحاديث نص على أنه يخلد فى النار وقد شفع النبى (ص) فى جعله فى ضحضاح ولو كان كافرًا ما قبلت شفاعته فيه.

وصح أن اخف أهل النار عذابًا عصاة المؤمنين وان أبا طالب اخف أهل النار عذابًا على الاطلاق فهو اخف حتى من عصاة المؤمنين.

وصح ان العصاة يخرجون من الجحيم وإن الريح تصفق أبوابها وينبت فيها الجرجير فيكون ابو طالب من المخرجين منها بل يكون أول المخرجين لأنه أخفهم عذابًا والكافرون ليسوا بمخرجين منها.

فثبت بهذه الأدلة انه وإن عذب فى النار لابد له من الخروج منها ودخول الجنة إذ لا واسطة بين الجنة والنار.

ثم قال: فإن قلت اثبت العلماء له (ص) نوعًا من الشفاعة للكفار وجعلوا ذلك خصوصية لنبينا ومثلوا ذلك بشفاعته لأبى طالب وهى التخفيف من عذابه.

قلت هذا مبنى على أن ابا طالب كافر وقد أثبتنا إيمانه فهو أول الدعوى وقد اثبتنا ان شفاعته له باعتبار معصية من الكبائر ارتكبها فهو من أفراد قوله (ص) شفاعتى لأهل الكبائر.

وليس مستثنى من قوله تعالى «**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**» [المدثر: ٤٨] ولا مخصصًا

لعموم الآية فهى باقية على عمومها وليس عندهم مثال آخر يمثلون به لشفاعته لأحد من الكفار غير ابى طالب فإن كان لهم دليل آخر فليذكر حتى ينظر فيه.

نعم إن ارادوا الكفار فى ظاهر الشرع رجع الخلاف لفظيًا ولو لم نحمل الكلام على هذا التحقيق يلزمهم ايضًا أن قوله تعالى «**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**» [النساء: ٤٨] مخصوص بغير ابى طالب ولا قائل به.

وقد تكلم: البرزنجى على الآيات التى فى القرآن التى قيل أنها نزلت فى أبى طالب.

كقوله تعالى «**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**» [التوبة: ١١٣] .

فقال إنى تتبعت الأحاديث الواردة فى سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلى ثلاثة أوجه:

الأول: أنها نزلت فى أبى طالب.
والثانى: أنها نزلت فى والدة النبى (ص).
والثالث: أنها نزلت فى آباء الناس الذين ماتوا فى الكفر كان أولادهم يستغفرون لهم.

أما الوجه الثانى: وهى أنها نزلت فى والدة النبى (ص) فهو ضعيف جدًا.

وأما الوجه الأول: وهو كونها نزلت فى أبى طالب فهو اختصار من الرواة فى الحديث فالصحيح أن سبب النزول هو الوجه الثالث.

ومما استدل به على ذلك ان الآية نزلت بالمدينة والسورة مدنية نزلت بعد تبوك وموت أبى طالب كان بمكة قبل نزول الآية بنحو اثنى عشر سنة.

ثم راينا ان عليًا رضى الله عنه روى من طرق صحيحة رواها الإمام احمد والترمذى والطيالسى وابن أبى شيبة والنسائى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقى أن السبب فى نزولها استغفار ناس لآبائهم المشركين.

قال على رضى الله عنه سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: اتستغفر لأبويك وهما مشركان.

فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه. فذكرت للنبى (ص) فنزلت «**ماكان للنبى والذين آمنوا**» الآية فهذه الرواية صحيحة.

وقد وجدنا لها شاهدًا برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما رواها ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما.

قال: كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت امسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا.

ثم انزل الله «**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ**» [التوبة: ١١٤] يعنى استغفر له ماكان حيًا فلما مات أمسك عن الاستغفار له.

وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح فالأرجح أنها نزلت فى استغفار اناس لآبائهم المشركين لا فى أبى طالب.

ثم ذكر انه يمكن الجمع بينها وبين الرواية التى فيها انها نزلت فى أبى طالب مع حصول مطلوبنا لأن الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب فيها اختصار حيث قال الراوى فى آخرها لاستغفرن لك مالم إنه عنك فنزلت «**ما كان للنبى**» الآية.

ولم يقل فقال المسلمون إن رسول الله (ص) يستغفر لعمه لنستغفرن لآبائنا فاستغفروا لآبائهم فنزلت فى حقهم الآية فحيث حذفت هذه الجملة ظن الراوى أنها نزلت فى أبى طالب ولو ذكرت هذه الجملة لقيل نزلت فى استغفار إناس فى آبائهم.

وبيان ذلك إن النبى (ص) لما عرض على ابى طالب ان يقول لا إله إلا الله بحضور أبى جهل وعبدالله بن أمية المخزومى فأبى ابو طالب فقال النبى: لاستغفرن لك مالم انه عنك.

فقال المسلمون: إن رسول الله يستغفر لعمه. لنستغفرن لآبائنا فاستغفروا لآبائهم فنزلت فى حقهم الآية فاختصر الراوى وحذف منه الجملة الأخيرة.

ومما يدل على هذا الجمع أنا وجدنا أحاديث يستفاد منها هذا الجمع.

منها: مارواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال لما مرض أبو طالب أتاه النبى (ص) فعرض عليه ان يقول لا إله إلا الله فأبى أبو طالب فقال النبى لأستغفرن لك مالم انه عنك.

فقال المسلمون: هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه فاستغفروا لقراباتهم من المشركين.

فأنزل الله تعالى «**ماكان للنبى والذين آمنوا**» الآية.

ثم أنزل «**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه**» الآية.

وروى ابن جرير من طريق شبل عن عمرو بن دينار أن النبى (ص) قال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال استغفر لأبى طالب حتى ينهانى عنه ربى.

فقال أصحابه: لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبى لعمه.

فأنزل الله «**ماكان للنبى**» الآية.

فظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت فى استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين فظهر أن فى الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب اختصارًا وحذفا بسببه حصل الاشتباه حتى ظن أنها نزلت فى أبى طالب وليس الأمر كذلك.

ومما يؤيد أن هذا الجمع متعين أن السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبى طالب نحو من اثنتى عشرة سنة.

وانضم إلى ذلك حديث على السابق الصحيح وما انضم من الشواهد وكون الآية مدنية فلا ينبغى إلغاء تلك الشواهد وترجيح أنها نزلت فى أبى طالب وإن كان مذكورًا

فى البخارى ومسلم إذ قد يرجح حديث غير البخارى ومسلم لأمور تقتضى ذلك.

وقد صرحوا بذلك فى اصول الحديث فقولهم يقدم حديث البخارى ومسلم او احدهما ليس على اطلاقه.

ومما يؤيد هذا الجمع أن المراد من ابى إبراهيم عمه كما حققنا ذلك فى نجاة الأبوين(١).

واجمع على ذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل.

وعم إبراهيم وهو آزر كان يتخذ اصنامًا آلهة كما حكى الله عنه وكان يقول لإبراهيم «**أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم**» مريم / ٤٦ .

ولم ينقل عن ابى طالب بطريق صحيح انه اتخذ صنمًا إلهًا او عبد حجرًا أو نهى النبى (ص) عن عبادة ربه غايته أنه ترك النطق بالشهادتين أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبى.

ومثل هذا ناج فى الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغراء ولا بقواعد الأئمة من اهل الكلام ان يكون هو وآزر عم إبراهيم فى قرن واحد حاشا من كرم الله تعالى.

قال حسان رضى الله عنه:

---

(١) اى فى رسالة نجاة الأبوين: عبدالله وآمنة. والكلام هنا للبرزنجى.

أمن يهجو رسول منكم ويمدحه وينصره سواء

فإن أبا طالب رباه صغيرًا وآواه كبيرًا ونصره ووقره وذب عنه ومدحه بقصائد غرر ورضى باتباعه.

وليس فى حديث عمرو بن دينار المار انفا دلالة على شركة فى قوله: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك. فلا ازال استغفر لأبى طالب. بل يمكن ان معناه أن إبراهيم استغفر لأبيه مع شركة فكيف لا أستغفر انا لأبى طالب مع أن خطيئته دون الشرك فلا ازال أسغفر له حتى ينهانى ربى ولم ينه بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوص عمه.

فلو كان كذلك لقيل ان يستغفروا للمشركين وأن يستغفر النبى لعمه ولم يقل كذلك.

ويصرح بهذا ما أورده فى الدر المنثور من طريق ابن جرير عن قتادة أن رجالا من اصحاب رسول الله (ص) سألوه عن الأستغفار لأبائهم.

فقال: والله إنى لا ستغفر لأبى كما استغفر إبراهيم لأبيه.

فانزل الله «**ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**» الآية.

فقال النبى (ص): إنى أوحى إلى كلمات قد دخلن فى اذنى ووقرن فى قلبى أمرت

أن لا أستغفر لمن مات مشركا.

فكونه (ص) قال إنى لأستغفر لأبى يعنى لعمى ثم لم يقل امرت أن لا استغفر له.بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال أصحابه مع الإشارة الخفية إلى أن عمه لم يكن مشركا فدلت أحاديث شفاعته (ص) على أنه يشفع فيمن فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من إيمان وهذه الإشارة الخفية كانت تقع منه (ص) حرصاً على الصدق وان لا يقع فى كلامه لفظ مخالف للواقع فإنه معصوم من الكذب وهو منه مستحيل فيأتى بلفظ عام فيه إشارة خفية فيحصل بذلك جواب السائل ويرضى به وتطيب به نفسه.

ومن ذلك ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر ما قال جاء إعرابى إلى النبى (ص) فقال إن ابى كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو ؟ .

قال فى النار.

فكأنه وجد من ذلك فقال الرجل أين أبوك انت؟.

فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

فأسلم الأعرابى وقال لقد كلفنى رسول الله (ص) شططا ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. فأجمل رسول الله (ص) الجواب بقوله، حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار. جريا على عادته إذا سأله أعرابى وخاف من إفصاح الجواب له فتنته واضطرب قلبه. اجاب بجواب فيه تورية وإيهام مع تحرى الصدق.

فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة حكم ابيه لأبيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده.

لما جلبت عليه النفوس من كراهية الاستيثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فأورد له جوابًا موهما تطييبًا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة بالمعنى.

كرواية مسلم أن رجلاً قال يا رسول الله اين ابى؟

قال فى النار.

فلما ولى دعاه. فقال: إن أبى وأباك فى النار[٢].

فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب قال: واحسن ما يقال فيها أن الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وأن الصواب كالرواية الأولى وهو حيثما مررت بقبر كافر. فهى فى غاية الاتقان يتبين بها أن اللفظ العام وهو حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار هو الصادر منه (ص).

فكأن بعض الرواة فهم أن قوله حيثما مررت بقبر كافر شامل لأبى النبى وأنه كافر فغيره ورواه بالمعنى على حسب فهمه.

---

(٢) كتاب الإيمان باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار.

وقال - أى الزرقانى - إن أبى وأباك فى النار وما تقدم من أن آزر عم إبراهيم وليس بأبيه هو القول الصحيح.

قال العلامة ابن حجر الهيتمى إن أهل الكتابين اجمعوا على ان آزر لم يكن أبا لإبراهيم حقيقة وإنما كان عمه وسماه الله فى القرآن أبا لأن العرب تسمى العم أبا.

وجزم بذلك الفخر الرازى وقال جاء فى القرآن تسمية العم ابا. «**إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**» [البقرة: ١٣٣] مع ان الكلام كان مع أولاد يعقوب وإسماعيل عم يعقوب(٣).

وقد سبق الرازى إلى ذلك جماعة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد وابن جرير والسدى قالوا ليس آزر أبا إبراهيم وإنما هو عمه لأن إبراهيم ابوه تارخ.

وممن وافق الرازى الماوردى من ائمة الشافعية.

وقال فى قوله تعالى «**وتقلبك فى الساجدين**» كما قال الرازى ان المراد تقلبه وتنقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية وهذا وجه من وجوه تفسير الآية وليس مراده الحصر فى هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول.

فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: «**وتقلبك فى الساجدين**» قال من نبى إلى نبى ومن نبى إلى نبى حتى اخرجتك نبيا ففسر تقلبه فى الساجدين بتنقله فى أصلاب الأنبياء ولو مع الوسائط.

---

(٣) انظر تفسير الفخر الرازى سورة البقرة آية رقم ١٣٣ وانظر اسرار التنزيل.

وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية إبراهيم أوضح ليشمل غير الأنبياء.

فقد أخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله تعالى «رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى» [ال: ٤٠] قال فلا تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد فى قوله تعالى «**وجعلها كلمة باقية فى عقبه**» الزخرف / ٢٨ أنها لا إله إلا الله باقية فى عقب إبراهيم عليه السلام.

وعن قتادة فى الآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده.

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فمن ذلك ما أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله عنه قال لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الإمام أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

واخرج البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من

القرن الذى كنت فيه والآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده .

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين.

فمن ذلك ما أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله عنه قال لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمين فمن ذلك ما اخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط مسلمون فصاعدًا ولولا لهلكت الأرض ومن عليها.

واخرج احمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه فإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعلى بعثت من خير قرون بنى آدم ..الخ. وان الأرض لم تخل من سبعة مسلمين ..الخ. انتهى ما قاله الإمام الرازى من أن آباءه كلهم موحدون لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين فى زمانهم ففيه المدعى.

وإن كانوا غيرهم فإما أن يكونوا على الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام فهو المدعى أيضًا.

وإما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين،

إما إن يكون غيرهم خيرًا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح من أنهم من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا.

وإما أن يكونوا خيرًا وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع.

قال تعالى «**ولعبد مؤمن خير من مشرك**» فثبت أنهم على التوحيد فيكونوا خير اهل الأرض فى زمانهم.

وقد ذكر البرزنجى والسيوطى وغيرهم ممن الغوا فى نجاة آباء النبى (ص) وامهاتهم وفى أنهم كلهم على التوحيد دلائل وبراهين على ذلك وافردوا كل احد من الآباء بترجمة.

وقد صح فى احاديث كثيرة انه (ص) قال: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات.

وفى رواية: لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة.

وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى «**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**» [الشعراء: ٢١٩].

وقوله (ص) من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات فآباء النبى وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر.

وإلى هذا اشار صاحب الهمزية حيث قال:

لم تزل فى ضمائر الكون تختار　　لــــك الأمهـــات والآبـــاء

وقال رسـول الله (ص) ما ولدت من بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعنى الأمم كابرًا عن كابر حتى خرجت من افضل حيين من العرب هاشم وزهرة(٤).

وحيث ان ابا طالب قـال هو على ملة عـبـدالمطلب فلنذكـر بعض مـا ذكـروه فى عبدالمطلب لتعلم علمًا يقينا انه كان على التوحيد.

فما ذكروه فى عبدالمطلب انه نشأ على اكمل الصفات وانتهت إليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمـر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور.

وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبدالمطلب فى ذلك؟

ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدار دارًا يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسىء بإساءته أى فالظلوم شأنه أن تصيبه عقوبة فإن أخرج من الدنيا لم تصبه عقوبة فهى معدة له فى الآخرة(٥).

---

(٤) روى أبو نعيم فى دلائل النبوة عن الرسول (ص) قوله: لم يلتق ابواى قط فى سفاح ولم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صافيًا مهذبًا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما.
ويروى ابن سعد فى الطبقات جـ١/ عن الرسول قوله: والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما.
وانظر دلائل النبوة للبيهقى.

(٥) الملل والنحل للشهرستانى هامش الفصل فى الملل والنحل جـ ٣/ ٢٢٥.

فهذا إيمان منه باليوم الآخر علمه بالفراسة الصادقة وهى نور الهى يقع فى القلب وكان عبدالمطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترف بوحدانية الله تعالى ولم تكن شريعة مشروعة فى زمنه فلهذا كانت عبادته التفكر فى آلاء الله ومصنوعاته وصلة الأرحام واصطناع المعروف والاتصاف بمكارم الأخلاق.

وكان يختلى كثيراً بغار حراء ليجتمع فكره وقلبه فى الاستغراق فى التفكر فى صفات الله وأفعاله الدالة عليه وورد عنه فى السنة أشياء كان متصفا بها ويأمر الناس بفعلها.

منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريانا.

وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل فجاء الشرع مؤيداً ذلك ومقراً.

وكان لطيب ريحه يفوح منه رائحة المسك وكان نور النبى يضىء فى غرته.

وفيه يقول القائل:

علا شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تاتى عبدالمطلب فتستسقى به فيسقون ولما جاء أصحاب الفيل ليهدموا الكعبة هلكوا بدعائه عند البيت المعظم.

ومما نقل عنه فى ذلك اليوم:

لاهـم إن العبـد يمنـع رحله فامنـع رحالـك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال أيضًا:

يارب لا أرجـو لهـم سواكا   يـارب فامنـع عنهـم حماكـا
إن عـدوّ البيـت قـد عاداكا   فامنعهمو أن يخربوا قراكا

واخذ أصحـاب الفيل له ذودًا من الإبل فـذهب إلى أبرهة رئيسـهم يسـأله اطلاق إبله فعظمه وأجلسه معه على سريره فلما سـأله اطلاق إبله.

قـال له أبرهـة سـقطت من عـينى جـئت لأهدم البـيت الذى هو دينك ودين آبائك فالهاك عنه ذود اخذ منك.

فقال أنا رب الإبل وللبيت رب يمنعه.

وقال يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت ربًا يحميه فأرسل الله عليهم طيرًا ابابيل فاهلكهم(٦).

وكان لعبدالمطلب إبل كثيرة يجمعها فى الموسم ويسقى لبنها بالعسل فى حوض من آدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينقعه بماء زمزم ويسقيه الحاج.

ولما توفى عبدالمطلب قام بالسقاية ابو طالب ثم بعده العباس(٧).

---

(٦) انظر قصة أصحاب الفيل فى سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(٧) انظر المراجع السابقة باب وفاة أبو طالب.

ومن كلام عبدالمطلب:

يارب أنت الملك ا لمحمود   وانت ربى الملك المعبود
من عندك الطارف والتليد

وكان عبدالمطلب يكرم النبى (ص) ويعظمه وهو صغير ويقول إن لابنى هذا لشانا عظيمًا[٨].

وقد سمع من الكهان والرهبان شيئا كثيرًا فى شأن النبى قبل ولادته وبعدها[٩].

وكان عبدالمطلب رئيس قريش معظمًا فيها وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد ان يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه.

وكان النبى (ص) وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبدالمطلب وربما جاء قبل جده عبدالمطلب فجلس على فراشه فإذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبدالمطلب ويقول دعوه إن له لشأنا ثم يجلس على فراشه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع[١٠].

وتوفى عبدالمطلب وعمر النبى ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبى طالب وكان شقيق أبيه عبدالله وامهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم.

---

(٨) ابن هشام وابن سعد باب ذكر عبدالمطلب.
(٩) المرجعين السابقين وانظر كتب التاريخ.
(١٠) المرجعين السابقين.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت ابى العباس يقول كان لعبد المطلب مفرش فى الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون الفرش فجاء رسول الله يومًا وهو غلام فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى.

فقال عبدالمطلب : ما لابنى يبكى.

قالوا : أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه.

فقال عبدالمطلب : دعوا ابنى يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو ان يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده.

فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبدالمطلب او غاب(١١).

وفى رواية : دعوا ابنى أنه ليؤنس ملكا.

وفى رواية : فإنه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن.

وكان عبدالمطلب من علماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرمًا للخمر على نفسه وهو أول من تحنث بغار حراء والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد.

وكان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن

---

(١١) المرجعين السابقين.

الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال.

وكان يقال له مطعم الطير.

ويقال له الفياض. ولد وفى راسه شيبة فقيل له شيبة الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له.

وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لأنه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الأمور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعلاً عاش مائة وأربعين سنة وله مناقب كثيرة.

منها حفر بئر زمزم وكانت درست بعد إسماعيل فأمر فى المنام بحفرها وارشد فى المنام إلى محلها وقصة ذلك طويلة مذكورة فى كتب السير(١٢).

وفى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله (ص) يبعث جدى عبدالمطلب يوم القيامة فى زى الملوك وابهة الإشراف.

قال البرزنجى: ويروى أن عبدالمطلب يعطى نور الأنبياء وجمال الملوك ويبعث أمة وحده. قال: لأنه كان على التوحيد.

وذلك كمن اخبر عنه النبى (ص) من أمثاله كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن --

---

(١٢) انظر المرجعين السابقين قصة حفر زمزم.

نوفل انه يبعث أمة وحده.

ومن يبعث امة وحده لا يبعد انه يعطى نور الأنبياء لأنه مستقل لا تابع.

واما كونه يعطى جمال الملوك فلأنه كان سيد قريش فى زمانه وهو ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا.

وهذا له شاهد فيما رواه البيهقى وأبو نعيم عن كعب الأحبار انه قال فى التوارة فى صفة أمة محمد (ص) انهم فى القيامة يعطون نور الأنبياء(١٣).

وبالجملة فمن وقف على ماذكره العلماء فى ترجمته علم علمًا يقينا أنه كان على التوحيد وهكذا بقية آبائه إلى آدم عليه السلام.

وبهذا يعلم ان قول أبى طالب هو على ملة عبدالمطلب إشارة إلى أنه على التوحيد ومكارم الأخلاق ولو لم يصدر من أبى طالب من الإشارات الدالة على التوحيد إلا قوله وهو على ملة عبدالمطلب لكان ذلك كافيًا.

فلله دره من لبيب حاذق وهذا المسلك الذى سلكه العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى فى نجاة ابى طالب لم يسبقه إليه احد فجزاه الله افضل الجزاء ومسلكه هذا الذى سلكه يرتضيه كل من كان متصفًا بالإنصاف من أهل الإيمان لأنه ليس فيه إبطال شىء من النصوص ولا تضعيف لها وغاية ما فيه إنه حملها على معان مستحسنة يزول بها الأشكال ويرتفع الجدال ويحصل بذلك قرة عين النبى (ص) والسلامة من الوقوع فى تنقيص أبى طالب او بغضه فإن ذلك يؤذى النبى.

---

(١٣) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم وللبيهقى.

وقد قال الله تعالى «**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**» [الأحزاب: ٥٧] .

وقال تعالى «**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**».

وقد ذكر احمد بن الحسين الموصلى الحنفى المشهور بابن وحشى فى شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤هـ إن بغض ابى طالب كفر ونص على ذلك أيضا من ائمة المالكية العلامة على الأجهورى فى فتاويه والتلمسانى فى حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر أبى طالب لا ينبغى أن يذكر إلا بحماية النبى (ص) لأنه حماه ونصره بقوله وفعله وفى ذكره بمكروه اذية للنبى وكفر والكافر يقتل.

وقال ابو الطاهر من أبغض أبا طالب فهو كافر.

والحاصل أن إيذاء النبى (ص) كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل وإن تاب.

وروى الطبرانى والبيهقى أن ابنة أبى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة.

فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك وانت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبى (ص) فاشتد غضبه ثم قام على المنبر.

فقال ما بال اقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى فمن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

واخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه ان رسول الله (ص) قال من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

فبغض أبى طالب والتكلم فيه يؤذى رسول الله (ص) ويؤذى أولاده الموجودين فى كل عصر.

وقد قال (ص) لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات.

ومما يؤيد هذا التحقيق الذى حققه العلامة البرزنجى فى نجاة أبى طالب ان كثيرًا من العلماء المحققين وكثيرًا من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبى طالب منهم القرطبى والسبكى والشعرانى وخلائق كثيرون وقالوا هذا الذى نعتقده وندين الله به وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذى سلكه البرزنجى فقد اتفق معهم على القول بنجاته.

فقول هؤلاء الأئمة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التى أثبتها العلامة البرزنجى.

ومما استدل به القائلون بعدم نجاته أن عم النبى (ص) لم يورث منه جعفرًا ولا عليًا لاختلاف الدين.

وأجاب البرزنجى عن ذلك بوجوه.

منها: أن الميراث فى وقت موت أبى طالب لم يفرض وإنما كان الأمر بالوصية فقد يكون أبو طالب أوصى بماله لعقيل فإنه كان يحبه كثيرا ويحتمل على تسليم أن عقيلاً أخذ ذلك ميراثا أن النبى (ص) إنما سكت معاملة لأبى طالب وعقيل بحسب ظاهر الأمر من الكفر بحسب أحكام الدنيا.

قيل إن مما نزل فى ابى طالب «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» [البقرة: ١١٩] وهذا القول ضعيف جدا كالقول بأنها نزلت فى أبوى النبى (ص) فإن ذلك ضعيف أيضا. بل قيل إن ذلك باطل لا أصل له والآية إنما نزلت فى اليهود.

قال ابو حيان فى البحر: وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك اى فإن الجميع نزل فى اليهود بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الآيات وذهاب جزالتها كما اشار إلى ذلك المولى ابو السعود فى تفسيره(١٤).

وقد ذكر البرزنجى احاديث كثيرة تدل على نجاة ابى طالب ثم قال وإن كان بعضها ضعيفا لكن لكثرتها يقوى بعضها بعضا لا سيما واكثرها صحيح لا ضعف فيه.

فمن الصحيح ما اخرجه ابن سعد وابن عساكر عن على رضى الله عنه قال اخبرت رسول الله (ص) بموت أبى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه.

---

(١٤) تفسير البحر المحيط سورة البقرة آية رقم ١١٩. وانظر تفسير أبو السعود.

وفى السيرة الحلبية أن هذا الحديث اخرجه أيضا أبو داود والنسائى وابن الجارود وابن خزيمة عن على رضى الله عنه قال لما مات ابو طالب اخبرت النبى (ص) بموته فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه.

ثم قال البرزنجى: على أن اعتمادنا على المسلك الأول الكافى فى النجاة ولا نحتاج إلى هذا ولكنه زيادة تأكيد فى المدعى.

ومن الأحاديث التى ذكرها فى الشفاعة ما رواه أحمد والطبرانى والبزار عن معاذ ابن جبل وأبى موسى قالا: قال رسول الله (ص): إن ربى خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة وعلمت انها أوسع لهم وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئا.

وروى أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى عن ابى موسى قال : قال رسول الله (ص): إنى أخرت شفاعتى وجعلتها لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا.

وفى رواية لأبى يعلى وأبى نعيم عن ابى ذر رضى الله عنه - وهى نائلة منهم إن شاء الله تعالى - من لم يشرك بالله شيئا.

وفى رواية عن عوف بن مالك عن رسول الله (ص) سألت الله أن لا يلقاه عبد من أمتى يوحده إلا أدخله الله الجنة.

واخرج مسلم عن عبدالله بن عمر إن رسول الله (ص) تلا قول إبراهيم «**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**» [إبراهيم: ٣٦].

وقول عيسى «**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**» المائدة/١١٨ فرفع يديه وقال أمتى أمتى ثم بكى.

فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك(١٥).

وروى البزار والطبرانى عن على كرم الله وجهه عن رسول الله (ص) فقال: اشفع لامتى حتى يناديني ربى أرضيت يا محمد فأقول اى رب رضيت.

وروى الطبرانى فى الأوسط بسند حسن عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ص): إنى أخرت شفاعتى لأمتى وهى بالغة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا.

قال البرزنجى فانظر هذه الأحاديث فإنها كلها تدل على أن الشفاعة لا تنال مشركا وقد نالت الشفاعة أبا طالب بنص الحديث الصحيح ونعلم قطعا أنه كان يصدق بنبوة النبى (ص) وصدقه وحقية دينه وكفى بالظاهر دليلا.

فلابد من القول بنجاته ولا منافاة بينها وبين الأحاديث التى فيها ذكر كفره ودخوله النار لما تقدم ان الحكم بكفره إنما هو بالنسبة للأحكام الدنيوية نظرا لظاهر الشرع وأن دخوله النار لأجل ترك فرض من الفرائض وهذا لا يلزم منه خلوده فى النار وليس هناك نص على أنه مخلد فى النار مع ما مر فى بيان سبب نزول النهى عن ----

---

(١٥) كتاب الإيمان. باب دعاء النبى (ص) لأمته وبكائه.

الاستغفار من الجمع ولله الحمد.

وتقدم إن قوله تعالى «**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء**» لا يمنع من إيمانه فإنها إنما دلت على انك لا تهديه ولكن الله يهدى من يشاء فنقول ان الله هداه.

وتقدم ان العباس لما اخبر النبى (ص) بأنه اتى بالشهادة قال له لم اسمعه إنما قال له ذلك نظرا إلى ظاهر الحال وذلك لا يمنع ان الله اطلعه على إيمانه ولذلك قال كل الخير أرجو من ربى.

وقد صح ان العباس سأل رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله اترجو لأبى طالب خيرا. قال: كل الخير أرجو من ربى.

وهذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات بسند صحيح ورجاؤه (ص) محقق ولا يرجو كل الخير إلا لمؤمن ولا يجوز ان يراد بهذا ما حصل له من تخفيف العذاب فإنه ليس خيرا فضلا عن ان يكون كل الخير وإنما تخفيف العذاب تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض وحصول كل الخير إنما يكون بدخول الجنة.

قال بعض العارفين انه ثبت عند أهل الكشف إيمان أبى طالب ثبوتا لا شك فيه ولعل السبب فى أن الله ابهم امره بحسب ظاهر الشرع لتطييب قلوب أصحاب النبى (ص) الذين كان آباؤهم كفارا لأنه لو صرح لهم بإيمان أبى طالب وهم يرونه كافرا بحسب الظاهر مثل آبائهم تنفر قلوبهم وتنوغ صدورهم ويقولون إنه لا فرق بينه وبين آبائنا.

فكيف يكون ناجيًا وهم معذبون؟

وهذا يكون منهم بحسب ما تقتضيه الطبيعة البشرية فإنها تنفر من استئثار غيرها عليها كما تقدم نظير ذلك فى الذى قال أين ابى.

ولو اظهر ابو طالب إيمانه لفات ما قصده من نصرة النبى (ص) وحمايته ثم فى ذلك لله تعالى حكم كثيرة لا اطلاع لنا عليها فيجب علينا التسليم لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه والرضا به وحفظ الأدب مع رسول الله (ص) واهل بيته وتحسين الظن بهم حتى لا يطالبنا أحد منهم بظلامة ونسأل الله تعالى التوفيق.

هذا خلاصة ما لخصته من الخاتمة التى ذيل بها العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى رسالته التى الفها فى نجاة الأبوين مع ما ضممته إلى ذلك مما وجدته فى المواهب والسيرة الحلبية وغيرهما من الكتب المعتمدة المرضية.

قال العلامة البرزنجى فى آخر الخاتمة التى هى آخر رسالته لما أكملت تسويده فى أوائل شهر الله الحرام ذى القعدة من شهور سنة ألف وثمانون بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وازكى السلام فى منزلى بالزقاق المشهور بزقاق البدور وهو داخل السور ارسلت به إلى بعض خدام الحرم الشريف ممن له قدم فى طريق الله تعالى وله اذكار واوراد وله سلوك وهو متوسم بالصلاح ليدخله الحجرة الشريفة تحت أستار كسوة القبر المعظم فإنه هديته (ص).

فإن وقع فى حيز القبول بيضته وإلا ضيعته قبل ان تنتشر منه النسخ، فادخله

تحت واستمر فيه ليلتين ثم رده إلى وبشرنى بأنه وقع فى حيز القبول من حضرة الرسول وشفعه فى جميع الفروع فحمدت الله على ذلك وبيضته بعون الملك المالك فالحمد لله على ما انعم والهم ثم له الحمد على انه كما بدا تمم حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه حمدًا يوفى نعمه ويكافىء مزيده كما ينبغى لجلال وجهه وعظمة سلطانه حمدًا يستوجب المزيد الموعود بقوله تعالى «**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**» [إبراهيم: ٧].

واكمل الصلاة والتسليم على المبعوث بالقرآن الحكيم والموصوف بالخلق العظيم المنعوت بانه بالمؤمنين رؤف رحيم صلاة وسلامًا تجازيان عناه وتوازيان غناه وعلى آله وآبائه وامهاته وازواجه وذرياته وورثة علومه وعباداته وغفر الله لنا ولوالدينا وإخواننا قلبًا وصلبًا ودينًا ولجميع المسلمين والمسلمات.

«**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم**» الحشر / ١٠. «**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» [يونس: ١٠].

هذا آخر ما فى رسالة السيد محمد بن رسول البرزنجى المؤلفة فى نجاة الأبوين المذيلة بالخاتمة التى فى نجاة أبى طالب عم النبى (ص).

(قال المؤلف رحمه الله تعالى) وكان الفراغ من تسويد ذلك يوم السبت الثامن عشر من شهر شعبان المبارك سنة الف وثلاثمائة وثلاثة من هجرة النبى (ص).

ملاحق الكتاب

ملحق (١)

سؤال للشريف عبدالمطلب رحمه الله تعالى سنة ١٢٩٩هـ

ما قولكم أيها العلماء الأعلام ومصابيح الظلام قمع الله بكم طغام اللئام ولئام الطغام فيمن انتدب ممن يزعم أنه من طلبة العلم لهدم قبر ابى طالب عم النبى (ص) زاعمًا أنه من المناكر المجمع عليها فى بلد الله الحرام وكتب للحكام يدور به على العلماء وخلافهم من الأنام يحرضهم على أن يساعدوه على هدم قبر هذا الكافر بهذا اللفظ الشنيع ونحوه من الكلام غير مبال إلى ما يترتب على ذلك من بعث فتنة نائمة لعن الله من ايقظها.

فإن كثيرًا من أهل السنة والجماعة من بنى هاشم وغيرهم يعتقدون نجاته تبعًا لما جاء فى ذلك ولما نقله الجهابذة الفخام الحقيقون بأن يتخذوا حجة للخلق لدى الملا العلام وهم السبكى والقرطبى والشعرانى رحمهم الله تعالى على الدوام أن الله أحيا أبا طالب وآمن بالمصطفى ومات مسلمًا.

قال الإمام المحقق السحيمى بعد نقله ذلك وهذا هو الذى أعتقده وألقى الله به فيكون هذا العذاب حصل له قبل إحيائه ويكون المراد بالقيامة قيامته وهى خروج روحه من جسده فياهل ترى هؤلاء العلماء جهلوا ما ورد فى حق ابى طالب من نصوص الشريعة فلم يسع هذا المنتدب المبغض السكوت تقلدًا لقدحه فى ادعائه الإجماع الذى زعمه مع ما فيه من أذية رسول الله (ص) وآله ومحبيه وهل جهله بذلك يكون عذرًا له فيما تطلبه مما ليس يعنيه؟

وهل يجب على الحكام ايدهم الله تعالى زجر هذا المبغض بما يليق به ويكون زاجرا له ولغيره عن الحركات الباعثة للفتن وتنافر قلوب المسلمين؟

فإن القائلين بنجاته اهل شوكة وشكيمة فى هذا البلد الأمين افيدونا نصر الله بكم الإسلام وأنار بمصابيحكم حالك الظلام.

الجواب، والحمد لله رب العالمين رب زدنى علما قال بعض المفسرين فى قوله تعالى «**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى**» الشورى / ٢٣ اى على تبليغ الرسالة اى أن تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى وذلك إنه لم يكن حى من قريش إلا وفيهم له (ص) قرابة فكأنه يقول إن لم تؤمنوا بى فاحفظوا قرابتى فيكم ولا تؤذونى ا هـ.

وقال تبارك وتعالى «**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهيناً**».

وفى شرح الشهاب لابن وحشى قال أبو الطاهر من ابغض أبا طالب فهو كافر بالله عز وجل.

وفى معروضات المفتى أبى السعود سؤال طالب علم ذكر عنده حديث نبوى. فقال، اكل احاديث النبى (ص) صدق؟

فأجاب بأنه يكفر أولا بسبب الاستفهام الإنكارى.

وثانيا بإلحاقه الشين بالنبى (ص) الدر المختار إذا تكلم بكلمة الكفر ولم يدر انها كفر.

قال بعضهم لا يكون كفرًا ويعذر بالجهل.

وقال بعضهم يصير كافرًا بذلك تنقيح.

وقال فى المختار ينبغى ان يحفظ اللسان عما يجب الاحتراز عنه لقوله (ص): من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت.

وعنه (ص) البلاء موكل بالمنطق اهـ.

وعليه فيلزم الولاة ايدهم الله تعالى أجرًا ما يستحقه على ماصدر منه مما يسد باب الجراءة ويزجر أهل الجراءة والفساد كما قال تعالى «**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» [المائدة: ٣٣] إلى آخر الآية والله سبحانه وتعالى أعلم.

ملحق (٢)

فتوى احمد بن عبدالله ميرغني مفتى الأحناف

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والسالكين نهجهم بعده اللهم اسالك هداية للصواب.

اعلم رحمك الله تعالى ان أبا طالب عم النبى (ص) ادعى إناس أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على عدم نجاته وتمسكوا فى ذلك بظواهر من الكتاب والسنة.

ودعواهم اتفاق أهل السنة على عدم نجاته دعوى غير صحيحة فقد وجد كثير من أهل السنة يقولون بنجاته منهم الإمام القرطبى والإمام السبكى والإمام الشعرانى كما ذكره السائل فى سؤاله فقد راجعت ما ذكره فى شرح العلامة السحيمى على شرح الشيخ عبدالسلام اللقانى على منظومة والده المسماة بجوهرة التوحيد فى بحث الشفاعة عند قول الناظم وواجب شفاعة المشفع فوجدته نقل عن القرطبى والسبكى والشعرانى أن الله أحيا أبا طالب وآمن بالمصطفى (ص) ثم مات مسلمًا.

قال العلامة السحيمى وهذا الذى أعتقده والقى الله عليه.

وذكر السحيمى قبيل قول الناظم ومنجز لمن أراد وعده أن ابن سعد وابن عساكر رويا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل رسول الله (ص) ما ترجو لأبى طالب قال كل الخير أرجو من ربى.

والإمام القرطبى والسبكى والشعرانى كل منهم من اكابر أهل السنة يحتج بقوله

وكذا العلامة السحيمى فبطلت دعوى من ادعى ان اهل السنة متفقون على عدم نجاته.

وثبت انه يوجد من أهل السنة من يقول بنجاته وحيث وجد الاختلاف فاللائق الاحتياط واقل المراتب التفويض إلى الله تعالى والسكوت والتوقف وعدم الخوض فى ذلك والاقتصار على قدر الضرورة فى ذكر الأحاديث الواردة فيه مع غاية الأدب والخوف لأن الاحتياط من الورع.

فقد قال (ص) دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

وقال (ص) اليس وقد قيل لما جاءه عقبة بن الحارث فقال: يا رسول الله تزوجت امراة فجاءتنا امراة سوداء. فقالت: قد أرضعتكما وهى كاذبة.

فقال (ص): كيف تصنع بها وقد زعمت انها ارضعتكما دعها عنك. اى طلقها.

فراجعت النبى (ص) وقلت يا رسول الله إنها امرأة سوداء اى فلا يقبل قولها.

فقال: اليس وقد قيل. فأرشده (ص) إلى طريق الورع والاحتياط وإن لم تقبل شهادة تلك المراة.

وحيث قال جماعة من اهل السنة بإحياء ابى طالب وإيمانه ونجاته فالاحتياط عدم التعرض له بتنقيص لأن التعرض له لاسيما إذا كان بأفحش العبارات يؤذى النبى (ص) لأن ابا طالب ربى النبى وكان يحبه ويذب عنه لما بعث.

ويؤذى أيضًا اقاربه (ص) الأحياء والأموات.

وقد قال تعالى «**قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى**».

وقد اخرج الديلمى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله (ص) قال اشتد غضب الله على من آذانى فى قرابتى.

وروى الطبرانى والبيهقى أن بنت ابى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك وانت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبى (ص) فاشتد غضبه ثم قام على المنبر فقال: ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى من آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

واخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

وروى الطبرانى والإمام أحمد والترمذى عن المغيرة ابن شعبة عن النبى (ص) انه قال لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات.

ولاشك أن النطق بقبيح القول فى حق أبى طالب والتشدق به فى مجالس الخاصة والعامة وسفهاء الناس يؤذى أولاد على رضى الله عنه الموجودين الآن بل ويؤذى أمواتهم فى قبورهم.

ويؤذى النبى (ص).

فقد قال تعالى «**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**».

وقال تعالى «**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينا**».

وهذا هو ملحظ من قال بكفر مبغض ابى طالب لأن فيه إيذاء للنبى وإيذاؤه (ص) كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل فاعله إن لم يتب وعندهم ايضًا يقتل وإن تاب.

وسأذكر لك نبذة من أخبار ابى طالب تعلم بها محبته للنبى (ص) وتعلم محبة النبى (ص) له وانه يؤذيه بغضه وتعلم بها ان ماذهب إليه القرطبى والسبكى والشعرانى والسحيمى له وجه وجيه.

فمن اخبار أبى طالب أنه ربى النبى (ص) احسن التربية وكان يقدمه فى البر على أولاده وشرح ذلك يطول ثم لما بعثه الله تعالى تعرض قريش لإيذائه فمنعهم أبو طالب.

وقال لهم إن ابن اخى فى حمايتى فلم يستطيعوا أن يردوا حمايته فصار (ص) يدعو الناس إلى الله جهرًا فلما فشت دعوته (ص) شق الأمر عليهم فاجتمعوا وجاءوا

إلى أبى طالب بعمارة بن الوليد.

وقالوا له خذ هذا بدل محمد ويكون كالابن لك وأعطنا محمدًا لنقتله.

فقال ما انصفتمونى يا معشر قريش آخذ ابنكم اربيه واعطيكم ابنى تقتلونه ثم قال:

والله لـن يصلـوا إليـك بجمعهـم ... حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنـى وعلمت إنك ناصحى[1] ... ولقـد دعوت وكنت ثم أمينـا
لـولا الملامـة أو حـذار مسبـة ... لوجدتنـى سمحًا بذاك مبينا

ولما تزوج النبى (ص) خديجة بنت خويلد رضى الله عنها خطب ابو طالب وحضر ابو بكر ورؤساء مضر.

فـقـال ابو طالب فى خطبـتـه الحـمـد لله الذى جـعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرمًا آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله

---

(١) كتب الشنوانى على شرح الفاكهى عند قول ابى طالب ودعوتنى وعلمت الخ ما نصه هو مات كافرا وهو عم النبى (ص) بخلاف ابويه (ص) فانهما ماتا مؤمنين لكن نقل الشيخ البراوى عن الشيخ السجينى عن غيره ان الله احيا ابا طالب وآمن به واماته ثانيا مؤمنا ودخل الجنة وقال البراوى من كان يحب النبى (ص) وآله واصحابه واتباعه فليعتقد ذلك ونقل ما تقدم من إحيائه واماتته ثانيا مسلما عن اربعة عشر صحابيًا وهو من خصوصيات ابى طالب وهذا لا ينافى الأخبار الواردة بموته كافرًا لأنا نقول إنه مات ثم أحيى كما مر ا هـ.

لا يوزن برجل إلا رجح به شرفا ونبلاً وفضلاً وعقلاً فإن كان فى المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت حويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم.

فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال:

الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم أهل لذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بانى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله على كذا ثم سكت.

فقال ابو طالب: قد احببت ان يشركك عمها وهو عمر ابن أسد.

فقال عمها: اشهدوا يا معشر قريش إنى قد أنكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد. فقبل النبى (ص) النكاح.

فتأمل خطبة ابى طالب وذكره شأن النبى وتفرسه فيه كل خير وكان ذلك قبل مبعث النبى بخمس عشرة سنة.

واخرج البيهقى عن انس قال جاء اعرابى إلى النبى (ص) وشكا الجدب والقحط وانشد ابياتا فقام رسول الله حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما ردّ يديه حتى التقت السماء بأبراقها ثم بعد ذلك جاءوا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه.

ثم قال لله درّ أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه. من ينشدنا قوله؟ فقال على رضى الله عنه وكرم الله وجهه كأنك تريد قوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال (ص): أجل.

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها حين كان يذب قريشًا عن النبى منها قوله:

كذبتم وبيت الله نبزى محمدًا ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد واحببته داب المحب المواصل
فمن مثله فى الناس اى مؤمل إذ قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش يوالى إلهًا ليس عنه بغافل

ومنها قوله:

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
واصبح فينا أحمد فى أرومة تقص عنها سورة المتطاول
حديث بنفسى دوته حميته ودافعت عنه بالذى والكلاكل

والقصيدة طويلة وله اشعار كثيرة غيرها فى مدح النبى (ص) ولما حضرت الوفاة

ابا طالب جمع اشراف قريش وأوصاهم بوصية تدل على كمال محبته للنبى (ص) ومعرفته صدقه.

فقال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبًا إلا احرزتموه ولا شرفا إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الرب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فإن فيها مرضاة للرب وقوامًا للمعاش وثباتا للوطأة وصلوا أرحامكم فإن فى صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعى وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيها محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأوصيكم بمحمد خيرًا فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأنى انظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابًا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها.

يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفى رواية دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى.

وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا.

فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة.

وقد روى ابو طالب عن النبى (ص) احاديث منها ما ذكره الحلبى فى سيرته فقال: وروى ابو طالب عن النبى (ص) فقال حدثنى محمد ان الله امره بصلة الأرحام وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره.

وقال سمعت ابن اخى يقول اشكر ترزق واكفر تعذب.

ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبى (ص) من الأذى مالم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب حتى أن بعض قريش نثرا التراب على رأسه الشريف وكان (ص) يقول ما نالت منى قريش شيئًا اكره حتى مات أبو طالب.

ولما رأى قريشًا تهجموا على اذيته قال ياعم ما أسرع ما وجدت بعدك.

ومات هو وخديجة فى عام واحد فكان (ص) يسمى ذلك العام عام الحزن.

وإنما أطلت الكلام فى ذلك لتعلم محبة أبى طالب للنبى ومحبة النبى له. وتعلم أيضًا أن ما قاله الأئمة الأعلام وهم القرطبى والسبكى والشعرانى والسحيمى من ان الله أحياه وآمن بالنبى (ص) له وجه وجيه.

ولذلك قال السحيمى وهو الذى أعتقده والقى الله به واقول ايضًا كما قاله انه هو الذى أعتقده والقى لله به وهكذا ينبغى لمن له محبة للنبى (ص) وقرابته فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فيجب على ولاة الأمر ثبت الله بهم قواعد الدين اجراء التأديب اللازم بما يحصل به الزجر سدًا للذريعة وحسمًا للخوض فى مثل ذلك لما يترتب عليه من القتن العظيمة والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم أمر برقمه خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زينى دحلان مفتى الشافعية بمكة المحمية غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين أجمعين آمين.

وصلى اللهم على سيدنا وموالانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله.

فهرس الكتاب

مطابع سجل العرب

٩ شارع عماد الدين - القاهرة - ج.م.ع

ت ٥٩٣٢٧٠٦٠ ص ب ١٣١٥ العتبة